# الكتابة علـــى اديم الفــرات

محمد الجزائري

مشاهدات ليست سياحيه عن الفرات : النهر والناس والحياة

1973



**★ مناجاة النهر :**

في النهر الذي تسيل على ضفافه الحكايات

منذ كان لسومر طقوسها وأكد ..

في النهر الذي كان يصطخب في موجه الزبد

وطمي الحضارات ..

كنا « **نمشي** » !

ولا تستغربوا الحكاية ، أن نمشي على أديم الفرات ، ليس ذلـك بالسحر .. كنا نمشي على شطآنه وأديمه .. كمن يبحث عن قنديل في ليل الخضرة الخجلى التي أغتالوها فشحبت ، ويبست أجمل زهراتها ، والشفاه الممتلئة التي تشققت ظمأ وحزناً ! كان الرجال يفكرون في كبح جماح الفرات ، هذا العاطفي الثائر ، الذي عود الدنيا على فيضانات وطوفان مدمر ..

ماذا دهاه ؟!

نراه حزينا ، منكسر الخاطر ، يسير ولكن بخفر ، كأن خجل العذارى أو أحباط المنكسرين يرنو في محياه بتعب !

**فرات ..**

ذو الطلعة البهية ، هل توانت أذرعه عن خوض معارك الاندفاع والتدفق ؟
كان صحو الانهر وحبورها ، والان نراه في سبات المرضى كمن تخدر رغم يقظته ومشى حالماً في نومه !
كان اسمه تعويذه .. ولقد شهد في تاريخه الذي يربو على السبعة آلاف سنة عهود مجد وشموخ ، هذا الفرات الذي لم ينهزم حتى أمام هجمات المغول ..
هل يستأهل كل هذا الأذى ،
وكل هذا الحزن ؟!

**★ شهادة من التاريخ :**

« يعد نهر الفرات وروافده من أهم المناطق التي شهدت أعظم التطورات التاريخية في العالم مما جعل بعض المؤرخين ينظرون اليه باعتباره مهد الحضارات من شماله الى جنوبه .
ففي الشمال استقرت على ضفافه وفي حوضه الحضارات الحيثية والميدية والآشورية والفينيقية والرومانية ، وفي الجنوب شيدت عليه الحضارة السومرية والأكدية والكلدانية والبابلية والفارسية ، الى ان جاءت الحضارة الاسلامية العربية وسيطرت على حوض نهر الفرات كله ، وعملت على تطويره بشكل أصبح فيه هذا الوادي من أهم مناطق العالم تقدماً في فنون الري واستثمار الاراضي » .

**★ وكان اسمه : النهر العظيم**

كان اسم الفرات في اللغة السومرية « **بوارنونو** » وفي الآشورية « **بوراتم** » اي النهر العظيم أو السيل العظيم .. وفي الآرامية « **فروت** » ، ومعناها النمو والخصب .. وله

اسم اخر وهو « **فلاذ روز** » لانه بجانب دجلة كمـــا هو بجانب الفرس الجنيـــة ( والجنية ـ بالفارسية ـ تعني فلاذ )

[ كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٧ ]

وحين قدم العرب الى النهر ـ قبل الاسلام وبعده ـ اطلقوا عليه اسم :**الفرات** ..
ويا له من اسم رائع ، وصاروا يطلقون هذا اللفظ على كل ماء عذب كعذوبة الفرات
( **والفرات** ـ من أصل كلام العرب ـ **اعذب المياه** )
وجاء في القرآن الكريم :

ـ « وهو الذي فرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا »

( سورة فاطر ـ الآية ١١ )

ـ « ... وما يستوي البحران ، هذا عذب فرات سائغ شرابه وهـــذا ملح أجاج »

( سورة الفرقان ـ الآية ٥٢ )

ـ « ... وأسقيناكم ماءً فراتاً »

( سورة المرسلات ـ الآية ٢٦ )

**★ نهر المعابد والطوفان :**

**ويقول الباحثون :**

« ظل سكان وادي الرافدين الاوائل في صراع مستمر ضـــد الطبيعة القاسية حتى جاءت ثورتها العارمة فطغت مياه الوادي وغمرت أرض الدلتا وما عليها من حضارة



الأطفال يبحثون عن ماء الشرب
ماذا تركت لهم مأساة العطش ؟

وكان ذلك هو الطوفان الذي تناقلته الألسن الاف السنين ولا تزال ذكراه حية فيما خلفه مفكرو العهود السحيقة من التراث الحضاري •• »

وكان الاعتقاد السائد عند البابليين ـ كذلك المصريين ـ ان الفيضان منبعث من غضب الآلهة عليهم ، فالمصريون كانوا يقدمون قرباناً بتضحية احدى العذارى الجميلات يرمونها في تيار النهر الغاضب وسط حفلة دينية كبرى ، ومثل ذلك كان يعتقد البابليون فكانوا يتصورون ان الطوفان الذي داهمهم كان منبعثاً من غضب الالـه بسبب فساد البشر وآثام الانسان وخطاياه !!

• وفي سنة ستمائة من حياة نوح
في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني

انفجرت ينابيع النهر العظيم ، وانفتحت
طاقات السماء ، وكان المطر
على الارض أربعين يوما واربعين ليلة »

[ سفر التكوين – الاصحاح السابع ١١ ـ ١٢ ]

★ **تعويذة بابلية:**

كان الفرات لبلاد بابل بمثابة النيل لمصر ، فكان عند البابليين مصدر الرخاء والحياة و « خالق كل شيء » ، فهو نهر المعابد المقدسة ، وقد حفرته الالهة لتنعم بلاد بابل بنعمة مياهه ولابد من ترضيته ، وتجنب غضبه ..

وفي رقيم بابلي دون فيه الخطاب التالي الموجه الى الفرات :

**تعويذة ...**
**يا ايها النهر ، يا خالق كل شيء**
**حينما حفرك الآلهة العظام**
**اقاموا اشياء طيبة على شطآنك**
**وفي طيات غمرك بني أيا « ملك الغمر » مقامه**
**وانعموا عليك بفيض من المياه لا نظير له ،**
**والنار والغضب ،**
**والجلال والرهبة ، ..**
**وقد وهبها لك أيا مردوخ ،**
**وانت الذي تقضي في قضايا الناس**
**ايها النهر العظيم**
**ايها النهر المجيد**
**يا نهر المعابد المقدسة**
**مياهك تفرج الغمة ، فتقبلني براحة**
**وخذ ما في بدني وارم به على شطآنك**
**وغرقه عند ضفافك**
**وغطسه في اعماقك . »**

[ ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس / مجلة سومر / المجلد الخامس ١٩٤٩ / ج ٢ / ص ٢٠١ ]

★ **كبح الجماح .. وعدالة حمورابي :**

• في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد أنشأ ( **ايا ناتم**) وهو أحد ملوك لجش ، على أحد الجداول في لجش ( **كيرسو** ) مشروعات السد الغاطس ، ثم انشأ خلفه ( **انتيمينا** ) ( حوالي ٢٤٠٠ قبل الميلاد ) **سداً** .. »

لقد أستفاد السومريون من تلك السداد في درء أخطار **فيضان الفرات** ، وان آثار المشروعات الاروائية لا تزال تنطق بعظمتها ..

وشريعة **حمورابي** أولت أهتماما بالغا بشؤون الري ، فقد أدرك حمورابي ( الذي تولى العرش عام ١٧٩٢ قبل الميلاد واستمر في حكمه ٤٢ سنة ) مدى الضرر الذي ينجم عن اهمال شؤون الري فحتم في شريعته :

- على كل فلاح ، مهما كانت سعة أرضه ، - ان يطهر الترعة المارة في مزرعته وأن يحافظ على سدودها ، وان يقوم بما يلزم من الاصلاحات فيها ، فاذا انكسرت السدة الملاصقة لأرضه والمسؤول هو عنها ، **فاغرقت** المياه أرض جاره ، كان عليه ان يؤدي كافة الاضرار الناجمة عن ذلك واذا لم يكن يملك ما يدفعه « **يباع** » هو لسد المبلغ وتعويض الضرر !

★ **بكائية النهر العظيم :**

حمورابي الذي يطالب الفلاح ان يبيع نفسه أن هو سبب الضرر لجاره ..
حمورابي .. لو عاد ثانية ، لوضع الذين أساؤا الى الفرات على أول عربة واعطاهم للنهر انتقاماً !
لقد جلدوا الفرات ..
واساؤا اليه

ودعوه ليعبر حدودنا مسخاً ، بعد ان كان ضارياً ومتدفقاً ••
أساؤا اليه •• ودفعوا فيضاناته الى أراضينا ، في البدء ، فاحتضنا الفرات ،
كان حوضنا أمينا ووفياً وعاشقاً للنهر ••
رغم انه نهش من لحم ضفافنا ،
ثم أكل حتى الضلوع والزرع ،
فسامحناه !

لكنهم الان ، يشربون ماءه ، ويقدمونه لنا حزيناً ، هزيلا ، متشقق الشفاه ، ضامرا ، كأنه ليس نهراً !
لقد حفر فلاحونا بالاظافر ، عميقا في مجرى الفرات ، من أجل ان يبقى اسمه عذبا •• وشربوا مياه المبازل ، حتى ماتت محاصيل الارض وهي بعد أزهارا وخضرة وسيقانا طرية ••
لكن الذين سجنوا النهر ، فلم يعد حراً معافى يرفل بالعافية ويتجـــول في حياض الوطن الكبير ، سجنوه وعذبوه ، وسجنوا معه آمال وصحة ومعيشة ومشاريع ثلاثة ملايين مواطن عراقي ووراء الثلاثة ملايين ، وطـــن واقتصـــــاد ومستقبل وحيـــاة ، أصابها الضرر ••
فهل ارادوا بالنهر النكاية لانه تمادى في حب الناس كما احببناه نحن ؟
انهم خانوا النهر ••• ،
وهنا تكمن بكائية النهر العظيم الذي كان سيلا وأصبح واهناً !

**★ في جغرافية النهر :**

**تقول الجغرافيا :**

ينبع الفرات من الاراضي التركية التي يزيد ارتفاعها على ثلاثة آلاف متر ، حيث

الفرات أطول نهر في غرب آسيا يبلغ طوله ١٤٦٥ ميلا / ٢٧٧٥ كيلومترا ) يتكون الفرات من منابع عدة ، في شرق تركيا أهمها « فرات سو » الــــذي يجري في سهل ارضروم - أرزنجان ، و « مراد صو » الذي يجري في هضبة أرمينيا - يلتقي هذان المنبعان قرب مدينة ( كبان معدن ) -

اما المنبع الثالث فهو « تخمه صو » الذي تموله جبال طوروس بالمياه فيلتقي بالفرات قرب مدينة ( ملاطيا ) • يدخـــل الفرات الاراضي الســورية بالقرب من مدينـة ( طرابلس ) ويتجه نحو الجنوب الشرقي ويستمر في اتجاهه مارا بمدينة دير الزور ثم البو كمال • وبعد البو كمال بمسافة قصيرة يدخل الفرات الأراضي العراقية عند قضاء القائم ( حصيبة ) •

وحافة النهر في هذا القسم شديدة الانحدار ، ثم يأخذ الوادي بالاتساع وهو يمر على المدن والقرى في الأنبار ، بعد هيت ، ويشكل الفرات في الاراضي العراقية القسم الاطول من حوض النهر :

* **طول النهر من المنبع الى المصب = ٢٧٧٥كم**
* **طول نهر الفرات في الاراضي التركية = ٨٧٥كم**
* **طول نهر الفرات في الاراضي السورية = ٧٠٠كم**
* **طول نهر الفرات في الاراضي العراقية = ١٢٠٠كم**



*** وقفة عند بوابة النهر :**

كان فجراً نقياً ومشعاً استقبلناه بحيوية ، بعد يوم مرهق من السفر المتواصل على الطريق الوعر من قضاء هيت الى الحقلانية فالقائم .

فمهمتنا الحقيقية تبدأ من بوابة الفرات ..

من شرفة « دار استراحة المصايف والسياحة » في قضاء القائم ، كنا نطل على الحدود العراقية ـ السورية ، ونتأمل مع خيوط الشمس الاطفال السوريين وهم يحملون أكياسا من القماش معبأة بالبضائع المهربة ..

وتأملنا الارض العربية وهي تسبح بشمس آب ، وعلى رابيتين زرع علمان .. كانت الوجوه التي تقف تحت العلم العراقي تبتسم بود وترحب بأي عربي قادم من دير الزور أو البو كمال أو أية بقعة عربية سورية .

قبل ذلك ( في المساء ) حدثنا الرفاق العراقيون في مقر القائم عن التحليق الدائم للطائرات العسكرية السورية التي تخترق الاجواء العراقية .

وفي ذلك اليوم شاهدنا خرقاً جوياً بأنفسنا وأبتسمنا برثاء ! وحين غادرنا « دار الاستراحة » كان بضعة نسوة سوريات يتسوقن الخضار واللحوم والفاكهة من المدينة العراقية ، كما شاهدنا في ذات النهار ، قافلة من السيارات الصغيرة ، يحمل بعضها رقما سوريا ، وقد أتت بمريض من سوريا في حالة خطيرة ، مات .. قبل ان يدرك وأهله مستوصف القائم ، فعادوا به بقافلة حزينة !

★ البدء على خط الطول ٤١ درجة :

حملنا « عدة الصحافة » المتواضعة وأنحدرنا من مركز القضاء الى ضفة النهر ، كان برفقتنا « أبو رائد » مدير مدرسة النعمان الابتدائية في ناحية « رمانة » ، و « أبو طه : ياسين محمد أمين » وهو كادر فلاحي من قضاء « حديثة » رافقنا في سـفرتنا منذ وصولنا الأنبار .

كان موعدنا مع « الزورق » الوحيد في المنطقة قرب محطة ضخ المياه جوار النهـر ( وهذه المحطة تدفع بقسط من مياه الفرات الى اسالة القائم ، وتحتوي على مضختين قوة ٥٠ و ٥٥ حصاناً تعملان بالتناوب لشحة المياه ) .

كان ناظر المحطة بأنتظارنا مـع صاحب الزورق ( صالح طلاع ١٩١٥ الذي ابتسم لنا بضحكة أظهرت الفجوة التي تركها تساقط اسنانه الامامية .. رجل يمتلك حيوية الشباب ببنية قوية ، ووجه متورد ، وذراعين مفتولين وقامة ربعة ) . ومع صالح طلاع وقف شابان ( عزيز ١٩٥٥ طالب في الصف الثالث بكلية الادارة والاقتصاد ـ جامعة البصرة ـ وجمال ١٩٥٦ ( أول جامعة ) قال ناظر المحطة حين سألته عن الخراطيم الطويلة الاضافية الممتدة الى وسط النهر :

« تعذر سحب المياه من هذه المحطة أياما عدة ابان انقطاع مجرى الفرات وشحته ، مما سبب عطش المدينة ، فأضطررنا الى ملاحقة بقايا ميـاه النهر بهذه الخراطيم والانابيب الاضافية » .

وبفطنة وعفوية علق الفلاح أبو طه :

« والفلاح الذي لا يملك الخراطيم والانابيب الاضافية ، بل ولا يملك حتى الماطور ـ المضخة ـ ماذا يعمل ؟ »

كان الصمت ثقيلا .. وقاسيا ، بعد هذا السؤال ..

... ... ...

ونزلنا الى الزورق من مرتفع الارض وانحدار ضفة النهر ، التي كانت المياه يوما تطفو عليها بقوة .

كنا نقف قبالة الخط النهري الفاصل بين العراق وسوريا **( خط طول ٤١ درجة )** وفي بوابة النهر هذه لاحظنا الى جانب سعة السماء الزرقاء ، احراشا وشجيرات من البردي والقصب والاعشاب الغريبة ، تشـــوه الزرقـــة العريضة ، ومجرى النهر الضيني !

لقد أفترشت هذه « الجزرة » وسط النهر ، والتصق جانبها الأيمن بالضفاف الصخرية العالية لمنطقة « الباغوز » حيث الحد الاساس بين حدودين !

و « الباغوز » جزيرة خالية الان من السكان بسبب المنازعات ، تشكل مساحتها أربعة كيلومترات مربعة تقريبا ، لم تكن موجودة قبل ربع قرن ، لكن الفرات الذي غـير مجراه قليلا ، في مدخل الحدود العراقية ، متجها يمينا ، ظهرت نتيجه لذلك ، هذه الجزيرة ، ومنذ ١٥ سنة اصبحت مأهولة بالسكان ومؤهلة للزراعة فنزح اليها بعض سكان القائم وبدأوا يتسابقون لتثبيت أسبقية ملكية الاراضي التي سكنوها ، مما سبب النزاع الذي دفع بأجهزة الاصلاح الزراعي الى اعتبارها منطقة محرمة تمهيدا لحل المنازعات نهائيا ..

وجزيرة « الباغوز » هي الحدود المشتركة على الفرات بين العراق وسوريا ، اذ تمتد بعض أراضيها داخل الحدود السورية ، وهي تطل من عل بممراتها الجبلية البديعة ، على كل حوض النهر ، بشموخ وأنفة !

**٭ والقاع ضحل تماما :**

الساعة التاسعة الان .. حين دار الزورق بنا دورتين بين « جزر » الغرب والحشائش الوحشية والبردي الشاذ عن المنطقة . عند نقطة الحدود هذه ، لم يكن النهر وحده حدا ، فقد ترك انقطاع سيل النهر وشحته وقنوطه ، آثارا جديدة : تشكلت الجزر



والاطفال . يمشون . وسط الفرات ..

ـ البو حردان ـ قضاء القائم

الرملية وجزر الاحراش وغابات « الغرب » •

هذا المدخل كان ضاجا وصاخبا ومكتظا بالتدفق والمنفوان بات الان مرقطا ، تنمو أنواع الشجيرات والاحراش الغريبة عـــلى جلده المائي ـ الطيني ، فتشكل شواهد أمراض عسيرة مرت على الفرات العذب فأحالته عكرا ، طينياً •••

الشجر المتطامن على ظهور الرمال

والغاب الجديد الذى تسلق همومه وحدها ،

عريان ، عريان ، أزاء بوابة النهر ،

عريان في مواجهة الضفاف الصخرية البعيدة ، البعيدة ، الشامخة !

الشجر لم يكن ليستطيع أن يمد رأسا أو عنقا أزاء شموخ الضفاف ، لكنه الان يرفع رأسه اليابس على حساب انكسار النهر ، فالنهر لم يعد نهراً !

انه يبكي فتوته المفجوعة ، وخصبه الزائل ••

كيف يتصور المرء بوابة نهرية عريضة ، بهذا البؤس ؟!

ويقول الناس : « ان بداية النهر ذات المنحدر الحاد أفضل من جنوبه ، هناك حيث تكمن المأساة مجسدة بعنف حقيقي ووحشية •• »

هل أقول « اندفعنا » بالزورق ؟

ام أننا دفعنا بالزورق الى وسط النهر لا الى « عمقه » فلم يعد الفرات عميقاً •

كان المجرى يسير مع مستوى الضفاف الصخرية العالية ( أيام زمان ) عمقاً وسعة ، وحدة انحدار ••

وحين حل فيضان عام ١٩٥٤ لم تستطع حتى هذه الضفاف الصخرية أن تكبح جماح النهر •

أما الان ـ والنهر آب ومنتصفه مر ـ فانخفاض منسوب الفرات دفـع الى تقلص عرضه ـ حد الربع ـ ( كان عرضه قرابة الخمسمائة متر عند خط الحدود ، أمـا

الان ، واذا طرحنا « الجزرة » التي تكونت نتيجة شحة المياه فان ما تبقى من عرض النهر لا يتجاوز المائة متر بالعين المجردة ! )

وارتجف محرك « الماطور » كانت الارض ـ الطمي ـ ترطم قاع الزورق حتى أخذنا نمشي على الطين وسط مجرى النهر ! كان الماء ظاهرا ، والذي لا يعرف سر الماء ، يبدو له النهر « بخير » !

لكن « عمق » هذا الماء لا يصل الى قدم واحدة في مناطق عدة ، الا في منحنيات قليلة تسمح للماطور أن يتلوى ، حتى يستطيع المرور ، مما دفعنا الى التوقف كثيرا ، فالفرات موحل ، وكان في نيسان ( موسم الفيضانات التقليدية ، يابسا تماما ) وظهور « الجزرات » ـ كما يدعوها المواطنون الأنباريون ـ تشكل ظاهرة خطيرة وشاهدا خطيرا .

**★ و « الربط » بعد « الباغوز »**

ومنطقة « **الربط** » تبعد عن « الباغوز » بحوالي الكيلومتر .. كما تبعد عن نقطة بداية الفرات في الاراضي العراقية قرابة الكيلومترين . في « الربط » هذه ، لا تزال « الأبلام : جمع بلم ! » تسحب من قبل المواطنين مسافة بعيدة عن ضفاف النهر كيما تصل الى الماء !

لقد صورنا « الجزرات » التي ظهرت خلف « أبو عزيز » ـ قائد الماطور ـ بعيدة وواضحة معا !

في العام الماضي استطاع أحد الجرارات « تراكتور » مع عربته أن يعبرا الفرات من مناطق عديدة ( وقد شاهدنا ـ عمليا ـ هذا المنظر المحزن لساحبة تجر عربة لنقل الحصى ، عبرتا الفرات من منطقة **خليج البوحردان** )

هل تبدو هذه الصورة مبالغ بها ؟

لقد تشكلت في مجرى النهر خلجان عدة ، تبدو للناظر حزينة ومتوحدة ، وفي



نمشي الهوينا .. ان نرى النهر ، وهو هو الاخر !
ويعبر « التراكتور » بهدوء !

« مجرى » النهر توقفنا ، ندفع بالزورق ، كان عزيز الجامعي وأخوه ينزلان الى النهر ، يشمران عن « دشداشتيهما » فوق الحزام ، ويدفعان بالزورق حتى يصل منحنيات مائية يستطيع فيها ان يحرك نفسه بصعوبة ! وكان « المردي » الطويل ساعد الشباب الآخر ، الذي يدفع ليس عميقا في الطين والطمي ••
هذا المنظر يتكرر في أعالي الفرات ( صدر الفرات ) في الحدود العراقية ـ السورية •• وتصوروا بشاعة المنظر حين تنحدر الى جداول ناحية الكرمة في الفلوجة حيث تجف الجداول تماما ( كما شاهدنا ذلك •• ولذلك حديث آخر )
ان الارض العطشى تمتص بعض المناسيب ، ويتبخر الماء ، والاعشاب الجديدة والاحراش تمتص بعض الماء أيضا ، والسواقي العطشى والجداول والترع والمواشي •• وأخيرا السكان الظماء ••
فماذا يتبقى للجنوب ؟!
« البردي لم يكن موجودا في منطقتنا انه يكثر في جنوب العراق كما تعلم ـ قال أبو رائد وأيده عزيز وأبوه ـ لكن شحة المياه جعلت النهر راكدا وآسناً في بعض مناطقه ، حتى تحولت أجزاء كثيرة منه الى موطن جديد للبردي •• »

**★ في حويجة الكرابلة :**

في ( **حويجة الكرابلة** ) وهي المنطقة التالية بعد « الربط » كانت « **الجزرات** » منتشرة وكبيرة ، وهي في كثافتها أقرب الى غابة •• وفي محاذاة احدى « الجزرات » ظهر لنا من بين الاحراش « ابن آوى » عوى ، ثم هرب • ذلك لم يحدث من قبل ••
« في الليل ـ قال أبو رائد ـ يعبر هذا الواوي باتجاه المدينة ليسطو ! »
ـ ترى ماذا يصنع العطش ؟!
في حالة العطش كثرت حتى الامراض وتوالدت المشاكل والمنازعات ، وأصبح الأمر لا يطاق ••

★ **خطوط وخطوط :**

والنهر الذي يسير بطيئا كان يوما ما حلما من أحلام الامبرياليين ليجعلوه ممرا مائيا للمواصلات والبواخر ، يربط البحر الابيض المتوسط بأيران ، فلقد اتجه « **فرانسيس رودان جيزني** » ـ وهو ضابط بريطاني ـ الى وادي الرافدين للقيام بدراسة تمهيدية لنهر الفرات والخليج العربي ، استغرقت هذه الرحلة الاستطلاعية سنة كاملة ( من حزيران ١٨٣٠ الى حزيران ١٨٣١ ) ان هذا التوجه ، مهد بعدئذ ، لاقتراح **وليم ويلكوكس** لانشاء خط حديدي يربط العراق بساحل البحر المتوسط قرب صيدا على أن يمتد من بغداد الى دمشق بطريق البوكمال وتدمر مسافة ٨٨٠كم •

لكن « **جيزني** » اعتبر الفرات غير صالح للملاحة البخارية ليس لعدم جدواه كممر مائي بل من جملة الاسباب :

سرعة التيار في نهر الفرات في بعض الاماكن حيث تهدد البواخر بالغرق !

« والحقيقة ان « جيزني » وصل الى لندن وهو يحمل فكرة جريئة تتمثل في ان نهر الفرات صالح لسير السفن التجارية »

ـ حسنا •• كان الفرات ، اذن ، صاخب التيار بحيث يعيق البواخر ويهددها بالغرق •• فهل يستطيع « جيزني » أن يعيش ثانية ليرى النهر وهو « يعيق » تقدم « زورق » طوله حوالي ثلاثة أمتار ، من أن يجد له طريقا وسط الطمي والأوحال و « الجزرات » ؟!

لقد تعرضت بعثة « جيزني » الى صعاب سياسية تمثلت بممارضة محمد علي وابنه ابراهيم ( باشا ) واستخدمت بريطانيا ضغطها على محمد علي للسماح لبعثة « جيزني » في اكمال عملها •

فهل كانت هذه الخطوط عفوية ، أم لان حوض الفرات يمتلك من مقومات الخير والرفاه والزراعة والتجارة والمواصلات ، وما يمكن أولى بعثات الاستعمار البريطاني

من المتبرعة في المرور عبر هذا الممر المائي حيث تصدت لها العشائر العراقية فهاجمت البعثة أكثر من مرة بالسلاح !

ـ هذه الصورة المستلة من وقائع تاريخ بعيد ، كان المعهد لدراسة طبيعة العراق من أجل تسهيل مهمة احتلاله ، هي نقيض الصورة الحالية ، من حيث النتائج المائية والمواصلات ، بحيث يبقى الخط الاساس بين سوريا والعراق هو حوض الفرات ..

ن فالخطوط النفسية والحضارية وعلاقة ذات القربى بين شعبي العراق وسوريا ذات بعد تأريخي يضرب في عمق الأزمنة ، وحتى الوقت الحاضر ..

فأذا كان حمورابي وشريعته ينصان ان « يبيع » الفلاح نفسه من أجل تعويض جاره حين يتضرر بسببه من الارواء ، فماذا نعمل مع الذين قطعوا المـاء ؟! وكأن خطوط القربى والحضارة والوطن والحياة ، قد انقطعت كلها فأصبح الفرات ( أو بقاياه ) يسير بلا ضوابط ، بلا خطوط ، وكأن مياه النهر العذب ، السيل العظيم ، الحضارة وفنون الري .. أصبحت بؤساً ووهناً وقلقاً !

وننظر الى « الباغوز » التي تمتد داخل الاراضي السورية ، وننظر الى الفرات الذي يمتد داخل الأمة والمصير وننظر ..

ولكن « الزورق » يتوقف ، يستقر على القاع الطيني ، لقد « طمس » الزورق في وحل النهر الذي كان عذبا ، والذي كان خالقا لكل شيء !

* مساحات الاراضي الزراعية التي تعتمد على مياه الفرات :
ـ المساحة في العراق = ١و٧٦ مليون هكتار ( لاحظ الرقم بالمليون )
ـ المساحة في تركيا = ١٨٠ ألف هكتار ( الرقم بالألف )
ـ المساحة في سوريا = ٢٥٠ ألف هكتار ( الرقم بالألف )

★ جدول احصائي

* الحاجة حسب دراسة البنك الدولي والوارد الفعلي من المياه للاشهر المبينة أدناه التي تبدأ في تشرين الاول ١٩٧٤ وتنتهي في شهر تموز ١٩٧٥ وهي أشهر السنة المائية :

| الشهر | الحاجة حسب تقديرات البنك الدولي (مليار متر مكعب) | | الوارد الفعلي للعراق (مليار متر مكعب) |
|---|---|---|---|
| – تشرين الاول ١٩٧٤ | ١ر٠٦٠ | | ٠و٧٦١ |
| – تشرين الثاني ١٩٧٤ | ١ر٠٣٩ | | ٠و٧٧٣ |
| – كانون الاول ١٩٧٤ | ٠و٩٨٨ | | ٠و٧٧١ |
| – كانون الثاني ١٩٧٥ | ٠و٨١١ | | ٠و٧٩٧ |
| – شباط ١٩٧٥ | ٠و٧٦٥ | | ٠و٧٧٣ |
| – اذار ١٩٧٥ | ١ر٢٧٢ | «بداية الموسم الصيفي للزراعة» | ٠و٦٩٦ |
| – نيسان ١٩٧٥ | ١ر٦٢١ | «موسم الفيضانات في السنوات السابقة» | ٠و٧١٠ |
| – مايس ١٩٧٥ | ١ر٤٧٨ | | ٠و٧٤٥ |
| – حزيران ١٩٧٥ | ١ر٣٦٧ | | ١و٠١١ |
| – تموز ١٩٧٥ | ١ر٢٩٣ | | ١ر١٦١ |
| **المجموع** | **١١ر٦٩٤** | | **٨ر١٩٧** |

* واذا قارنا هذه الارقام بتقديرات اللجنة الفنية العراقية في اجتماعات اللجان الفنية المتشاطئة على نهر الفرات وهي (١٣ر٣١٦) مليار متر مكعب لنفس الفترة نستنتج بوجود نقيصه في حاجات العراق مقدارها (٥و١١٩) مليـار حسب تقديرات الفنين العراقين و (٣و٤٩٧) مليار متر مكعب حسب تقديرات خبراء البنك الدولي .



عباد الشمس كان متفتحا ومزهوا ، والان لم يعد يعرف نفسه من الجفاف



يعاتبنا الفرات ، ويحكي قصة الصفاء الذي افتقد ..
كان الماء نقيا ثم أصبح أحمر ، أربد وغضب
ثم عاد شاحبا كمن خسر الرهان على حبه وشرفه ..
النهر الذي يحمل دموعه في الضلوع ،
وتنحني ضفافه بانكسار ، .
كان متألما يجر أذياله بعسر ،
بعد ان كان عذبا وفيضا وحيوية ..
يمشي الفرات بتؤدة ، حتى يوشك من شدة الانهاك
ان يقف ..
ولا يطال نهاياته ، ولا يتواصل مع دجلة الخير بعشق
ولا يلتقي بفيض رجولته عند القرنة .
انه مريض ، هذا الحبيب الذي كان عذبا
لقد حبسوه .. امتصوا ماء وجهه ،
جعلوه يقايض كرامته بكرامتهم المهدورة .
سلبوه شرف الفرح الذي يمنح للشطآن والبساتين
والفرح الذي يمنح للخلجان والجداول
والفرح الذي يمنح للبشر والازهار والثمار ..
لقد كان الفرات كريما ، فسرقوا كرمه وثراء عطاءاته ، جعلوه أبخل من بخلاء الجاحظ ،
غيروا طباعه فخجل !
الفرات الذي كان معافى سرقوا منه العافيه فكيف يقاوم الحصار ؟!

* « الرمانة » التي تشققت :

ونمضي في الفرات .. حتى نصل ناحية « الرمانة » على الضفة المقابلة لناحية « الكرابلة » : وهاتان الناحيتان تعتبران من أخصب المناطق الزراعة وأغزرها انتاجية في صدر الفرات ، حيث يكثر فيهما القطن الذي يعتبر أهم محاصيلهما ومن أحسن النوعيات في العالم . كما تزرع بذور البصل ( الفسقة ) كذلك السمسم والحنطة والمخضرات ..

في الفرات ، في وسطه ، يبدو « المعبر » البخاري يائسا ، لقد توقف العبور من الضفتين أشهرا ، بسبب جفاف النهر وشحة مائـة ، فأنقطعت « الرمانة » عن الفـرات ، ظلت معلقة المصير ، حتى المخضرات التي عوض بعض المزارعين بها أنفسهم عن المحاصيل الزراعية الاساسية ، لم يكن ثمة طريق لتسويقها بعد ان توقف « المعبر » ..

لقد كانت وسيلة النقل الوحيدة هي الزوارق ، أما « المعبر » الحكومي الذي يتسـع لسيارتين فحين تشح المياه لا يمكن للمعبر المشيد على دوبة تجاوز الضفة .. ( مع ان خط سير المعبر يعتبر أعمق مجاري الفرات على الضفتين ) ..

و « الرمانة » يقطنها قرابة الستة آلاف مواطن ـ عدا العرب الرحالة الذين يستقرون موسميا ، اذ هناك طريق صحراوية تمتد حتى الموصل ، حيث تشترك في سكنى هذه الصحراء عشائر البدو والعشائر الدليمية ، ويصل تجمع هؤلاء قرابة الثلاثة آلاف نسمة في فصل الربيع حيث الكلأ المتوفر ، أما في الصيف فيتفاوت عدد الأسر التي تقطـن الصحراء المتاخمة لناحية الرمانة حتى تصل قرابة الألف أسرة ـ

لقد توقف زورقنا قرب المضخة الموجودة مقابل « رمانة » حيث تبعد عن ضفة النهر مسافة خمسين مترا ، ومن حوض الانابيب الى المضخة ثمـة قرابة المـائة متر ، ومسافة المائة وخمسين مترا هذه ، خلقتها ظروف شحة المياه ، أما قبـل ذلك فكانت المياه تسحب مباشرة دون حاجة للأنابيب ..

لقد عبرنا بالماطور من نفس مجرى « المعبر » فأصطدم بقاع النهر الطيني أكثر من مرة ، مما اضطر « عزيز » و « جمال » ان ينزلا الى أرض الفرات ويدفعا بالزورق الى المنحنيات المائية .

من بعيد تبدو لنا منطقة « **الطعس** » يحدها سور ، وهذه المنطقة ـ تقع في ناحية الكرابلة ـ جرى كشفها موقعيا ، من قبل مديرية الآثار العامة ، ووضعوا حارسا لحراسة آثارها فهي تشير الى مدنية حوض الفرات في السنين الغابرة ... توقفنا عند نقطة « المعبر » لنخترق طريقا ترابية طويلة توصلنا الى مركز ناحية « الرمانة » ، وطوال الطريق ، شاهدنا العديد من البساتين والمزارع محروثة الارض ، ولكن دون زرع ! انها من بقايا استعداد المزارعين للموسم الشتوي المنصرم ، والموسم الصيفي ، اذ باشر بعض المزارعين بـ « طش البذور » لكن الماء لم يصل الارض ، فخسروا البذور والجهد ، وخسروا المحاصيل بالتبعية ـ أما ناتج الموسم ٧٣ ـ ٧٤ الشتوي من القطن فقد تكدس حتى موسم الامطار وتضرر المزارعون بسبب توقف « المعبر » عن العمل بسبب شحة المياه مما دفع بعض المزارعين الى تصدير الحنطة عن طريق الصحراء الى الموصل ، فكلفهم ذلك مبالغ اضافية ( ٧ دنانير عن حمولة كل طن ) فيما اذا توفرت الشاحنات ( وهي عزيزة ونادرة عن طريق الصحراء ! )

**★ هموم الاطفال العطاشى :**

في مزرعة « **عبدالحميد منوخ** » ـ ناحية الرمانة ـ لاحظنا الطماطة التي تعرضت الى الجفاف كذلك « عباد الشمس » ، كان « عباد الشمس » متفتحا ومزهوا ، .. أما الآن فلم يعد يعرف نفسه ولم تتعرف عليه نتيجة الضمور والسقم . فقد القدرة على ان ينظر الى الشمس بحبور ، انه منكس الهامة كمن أتى عملا « فريا » .
أما الطماطة فلصغرها وضمورها تشبه الى حد بعيد في صغرها « فلفل » الزينة ، كنا

نتمنى ان ترافقنا كاميرا سينمائية ، لان الحديث عن جفاف المزروعات لا يمكن أن يصفه قد مهما يكن بارعا •• فالارض تحولت الى سباخ يغمرها الملح من كل جانب ، اذ تبدو الترع والجداول كأنها « مبازل » مهجورة ، حيث يصل عرض النهر الى ستة أمتار فقط !

امـا في **خليج البوحردان** ، فأذا انخفض مجرى النهر بمعدل قدم واحدة ، فمعنى ذلك ان مجرى النهر هنا يتحول الى أرض يابسة ، وتتوقف ثمان مضخات قوتها من ٢٠ ـ ٥٠ حصان ، وهذا يؤدي الى حرمان آلاف الدونمات من الزرع •

لقد شاهدنا ، وصورنا عملية « عبور » التراكتور في النهر الذي جفت مياهه ، فأي بؤس يرى المرء ، حين يلاحظ بوضوح المواشي والبشر ، ينزلون وسط النهر ، يبحثون بالأواني « التنك » عن ماء للشرب ••

حتى الأطفال في سن (٤ ـ ٧) سنوات كانوا يبحثون عن الماء بحسرة ، أي نمط من البشر سيقف مذهولا أمام حسرة الاطفال وهم يزرعون أياديهم الناعمة عميقا في وحل النهر ، كيما يمسكوا بالماء ! المستحيل الذي لا تفرط به حتى ارادة الاطفال : ان تمسك الماء بالأنامل !

تلك واحدة من صور مأساة النهر وبكائيته :ـ

مشى الطفل يرفع دشداشته بيد ، ويحمل بالاخرى اناءا صدئا مثلوم الحواشي ، تعثر بالوحل •• انغرزت قدماه ، سقط على وجهه ، ثم قام •• واصل السير في وحل النهر ، ابتعد ، اقترب ، دار على نفسه ، كانت الحيرة تشده شدا ، حتى توصل الى بقايا الماء •• زرع الاناء في الطين تعذر عليه أن يمسك بالماء ، اقتربت طفلة ، تساعده ، • يغرفون ، بالأكف الصغيرة ، والمواشي ، تبدو خلفهما ، كأنها تنتظر دورها لتطفيء ظمأ الأيام الساخنة والعطش المزمن ••

**هذا هو النهر الذي كان عذبا فراتا**

★ **وهموم الفلاحين :**

كـان **حمود علي حسين** عاجزا عن الكلام بلسانه ، ظلت أصابعه الخشنة تشير الى النهر ، تتكلم لغة المأساة ، وحين نطق ، كانت حنجرته تبكي :

« **المشكلة .. المشكلة** »

وسكت برهة ، ثم سحب كيس تبغه ليلف له سيكارة ، .. سحب نفس الدخان بعمق ثم قال :

« عانيي من عطش الارض والزرع والبشر .. »

وانهمرت دموعه !

توقفت عن الكتابة ، أي حزن معتق تنطوي عليه جوانح الرجال ، حين تبكي الرجال ، فأي جرح يختزن القلب .

لدقائق ، صمت الجميع .. ثم عاد حمود علي حسين ليتحدث : « تقلصت الزراعة الى النصف ، ثم الربع ، ثم فقدنا كل شيء .. حتى ماء الشرب ..

قبل فيضان ٦٧ و٦٩ عانينا من خطر الفيضان ، لكن هذا الخطر تضاءل أزاء الموت الذي جلبه لنا العطش لقد عانينا من شحة المياه حتى تمنينا أن يعود الفيضان حتى ولو كان مدمرا .. »

« ثم ... »

وسكت ثانية ..

« ماذا أحدث لنا الماء النزر ، لقد كانت قريتنا تعيش الوئام والأخوة الدائمة ، لم تتشاجر أو تتنازع يوما حول الماء .. لكن شحته وغيابه جعل المشاكل الجديدة تظهر على السطح ، تطفو .. أصبحت المنازعات معارك بين الأخوة والجيران ، وفي جمعيتنا الفلاحية عانينا من هذه المنازعات .. ماذا نقول ، كيف نتحدث الى بعضنا .. هل نعد الفلاحين بالماء .. نحن لسنا السبب في انقطاعه ، لا الجمعيات ولا الحكومة .. ماذا نعمل .. ؟! » بقي السؤال معلقا ، كما ظلت « الرمانة » مقطوعة عن « القائم » لقد

ضحينا معا ، كشعب عربي واحد •• ، لكن تضحياتنا لم يقدرها المسؤولون عن قطع ماء الفرات ••

ثمة مشكلات أخرى برزت ، حين توقفت المضخات عن العمل وباتت المناوبة « المراشنه » هي الحل :ـ

توقف أربع مضخات عن العمل عدة أيام في الاسبوع ، لتسمح بالمضخات الاخرى في سحب القلة من المياه ، فالارض تشققت والجميع بحاجة الى الماء ، زرعنا البطاطة والحنطة والشعير والسمسم والبصل والطماطة والقطن وغيرها في الموسمين الشتوي والصيفي وكانت النتيجة خسارة في الجهد والمال •• لقد بلغ عدد المتضررين المئات ، والذين قدموا طلبات التعويض كانوا كثرة ، بلغت اضرارهم نسبة ٧٥٪ •

★ **رمضان والهجرة :**

**ورمضان عطيه حسن :** فلاح يسكن منطقة البوحردان منذ سنوات عديدة ، ورث الزراعة والأرض عن أبيه ، عن جده ، •• لم يفكر يوما في مغادرة هذه الحبيبة أو طلاقها : الارض هي الزوجة والشقيقة والأم والعاشقة •• كيف يفرط بها ••

لكنه الآن ينوح كامرأة ثكلى •• لقد وقف وأطفاله معه ، ببؤس ظاهر وهو يصرخ بصوت متحشرج : سأهاجر •• أهاجر •• لأنني لم أستطع حتى توفير الطعام لأطفالي •• كنت ازرع في السابق مساحة عشرة دونمات ، ثم تقلصت المساحة فأصبحت ثلاثة •• وأزاء شحة المياه ترددت في بذر البذور لأي موسم •• أن بقائي هنا يهدد وضعي ووضع عائلتي بالموت ، سأهاجر لأعمل في أي مكان ، وسأترك أرض آبائي وأجدادي مضطرا •••

لقد خسرت محبـــة أخوتي وأصدقائي وعشيرتي ، تخاصمت حتى مع رئيس الجمعية الفلاحية ؟ الجوع كافر ، والعطش يجعل الانسان يتنكر لدينه ودنياه •

هذه حالة •• قد تكون سلبية : الهجرة • وهي أخطر آفات المجتمع الزراعي لكن ، ما العمل •• تساءلنا •• هل يبقى رمضان ينتظر رذاذ المطر ، وحده ، وهو الذي عود

أرضه على سقيات خصبة من ماء الفرات الذي كان عذبا ؟!

ويستمر رمضان : « لقد صدرنا قبل الأزمة حوالي ستمائة طن من فسقة البصل ، أما بعد ذلك فقد صدرنا نصف الكمية ، وهذه السنة زرعت عشرة كيلوات من البذور ولم تعط مردودا ، في حين كنت أزرع أربعين كيلو من البذور وفي أيام الماء المقدس ، كنت أزرع ستين كيلو ، •• ومن بذور القطن كنت أزرع ستة أكياس (حوالي ٣٠٠ كيلو ) أما هذه السنة فقد زرعت خمسة أكياس ( سدس الكمية ) ومن الطماطة كنت أزرع دونمين أما الآن فلم استطع حتى زراعة نصف الدونم •• ومن البطاطة كنت أبذر ٣٠٠ كيلو •• اما الآن فلم أبذر سوى أربعين كيلو ، لم تعط شيئا .

**★ وللتسويق هموم اخرى :**

وقف **برجس حميد** وفلاحون آخرون يعرضون مشاكلهم بحرقة قلب ، كانوا ينفثون الكلمات مع دخان السكائر والألم ، بتصعيد مأساوي حارق •• وحين بدأ **جميل سعيد** ( سكرتير الجمعية التعاونية في البوحردان ) يتكلم لم يطفيء سيجارته ، بل واصلها بأخرى وثالثة على مدى الحديث ، قبل الأزمة سوقنا قرابة الثلاثمائة طن من الفسقة ، انخفضت الكمية الى النصف بعد شحة المياه ، أما الموسم السابق فقد زرعنا ( وانا واحد من الناس لم احصل على ٥ فلوس ! ) **٣٠ كيلو بذور** كان حاصلها ، لو نجحت يعطي عشرة أطنان •• لكنها أعطتني « **صفرا** » !

زرعنا القطن •• تضرر نصف الحاصل بسبب العطش ولم نزرع المساحات المطلوبة ، وعليك بحساب الأضرار : « صحيح أكو ماي ، لكنه يشح يوميا ! الفلاحون يخافون ، ويترددون من « طش » البذور ، لم نوسع المساحة « خليناها على النص » واذا استمرت الحال ، بهذه النقيصة اليومية في منسوب الماء ، فسوف يتوقف الجميع عن الزراعة ••

**★ لقطـــة :**

**قال أحد الفلاحين : وصلنا طارش من اهلنا في البوكمال ، حدثنا عن احتجاج الفلاحين السوريين في مناطق البوكمال ودير الزور ، اذ قدموا العديد من الشكاوي لحكومتهم سبب شحة المياه •• والرعاة في تلك المناطق يعانون أيضا نفس المشكلة .**

★ **والى النهر نعود :**

**شهادات الفلاحين في زمن العطش ..** ذلك ما حدث .. وما سيحدث هو الأهم : ان الفلاحين ، اصاب أكثرهم اليأس ، لم يزرعوا أرضهم ، حتى لو شاهدوا الفرات معافى .. لقد تعلموا اللعبة : يأتي الماء حين تنتهي المواسم .. ولا يمر الا لترطيب شفاه الأرض المتشققة ، ويوما بعد يوم ، وعلى مدى مسيرتنا في النهر ، وعلى الضفاف ، عبر الجداول والقرى ، نرى الفلاحين يضعون العلامات عند حد الماء ، أصبحوا خبراء في معرفة « سياسة » الماء !

ينخفض بمقدار ويعود لينخفض بمقدار .. وكلما انخفض منسوب الفرات ، كلما تصاعد القلق ، وعم اليأس ، ودفع هذا الحال ، العديد من الفلاحين الى الهجرة ..

كيف نتصور النهر الذي واكبناه من صدره في « الباغوز » حتى خليج البوحردان .. وكيف نتصور الناس والحياة ؟

تصور ... كــلا ..

انما هو الواقع الذي يقطع القلب ويتركه ممزقا على أرض تبكي ومحاصيل مؤجلة الى اشعار لم يعرف بعد ..

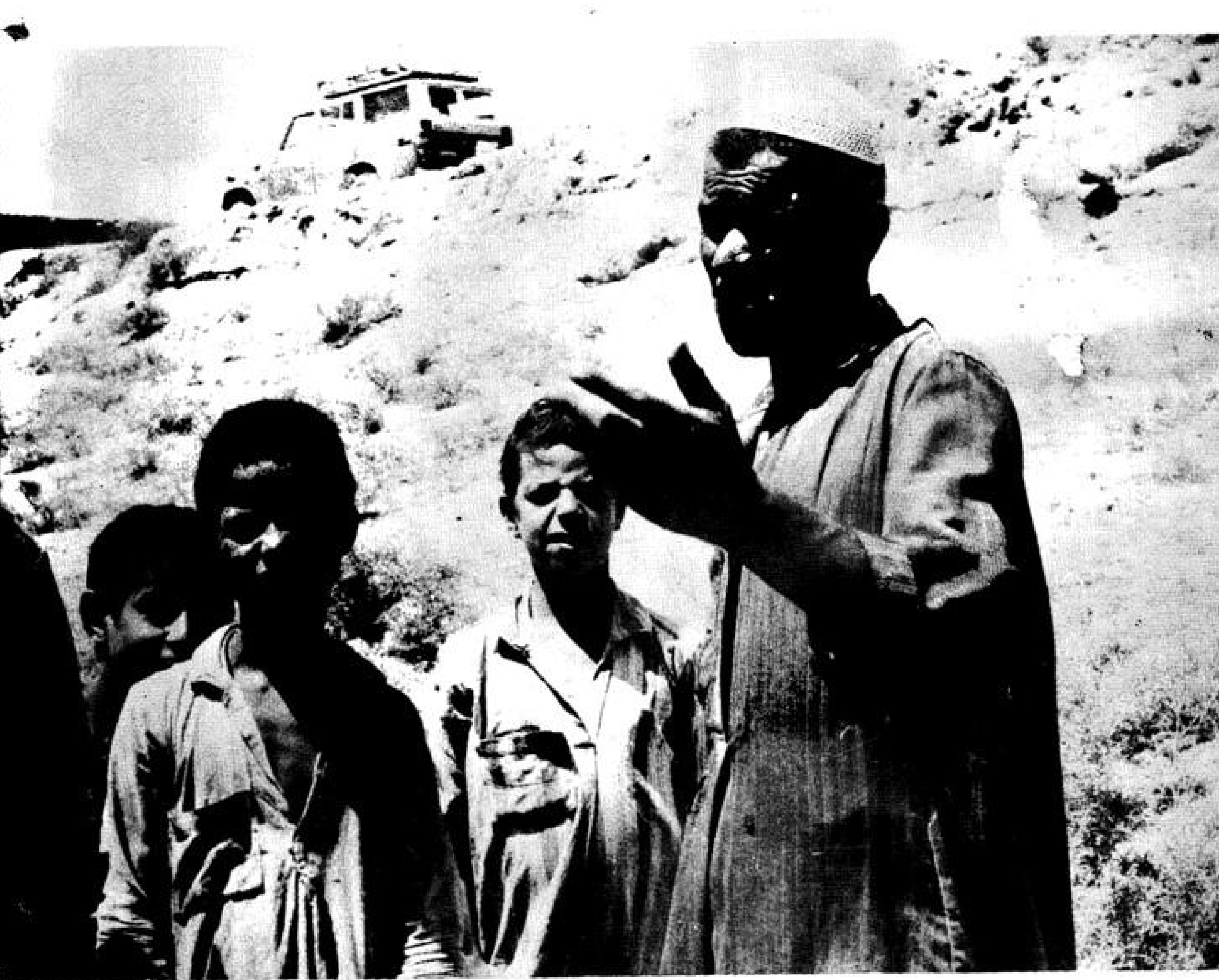
اما احلام الفلاحين ، مشاريعهم ، وحتى الفرح الذي اختزنوه لشهر رمضان ولعيد رمضان ، والفرح الذي اختزنه الاطفال للعيد ، غاب وتوارى ، وعلى كل الوجوه ، كانت أخاديد المأساة عميقة وناتئة ، وعلى وجوه الاطفال كانت صورة بكائية الفرات صارخة ولعينة ..



عانينا من الفيضان لكننا نتمناه الآن فالعطش يقتلنا
حمود علي حسين ( ناحية الرمانة ) القائم ـ الانبار



وماذا يفعل الفلاحون الفقراء ؟
ياسين محمد امين ( حديثة )



ساهاجر كي لا يموت اطفالي

رمضان عطية ( القائم )



**★ القنيطرة مفجوعة أيضا :**

« **القنيطرة** » أيضا •• ولكنها شهيدة عدوان آخر !

نقف •• لنتأمل الأسم : قرية « القنيطرة » ، وعلى بعد تطالعنا مفترقات الطرق الى راوه – عنه ، الى القائم ••

ولاننا انحدرنا مع مجرى الفرات فالقنيطرة العراقية تقع بين القائم وطريق ( حديثه ) •
كل شيء هادئ في « القنيطرة » : صمت الحزن المائي ، وصل حد الخشوع في هذه القرية ، لأن الماء يرى ، كمن يجري في مضيق ضيق ! وعلى مدى البصر ترتفع على تلة متوحدة ، آثار قديمة ، قالوا انها آثار « جريجب » كانت مقرا ، فيما مضى ، لمدينة القائم القديمة ، أيام العثمانيين ، الآثار تطل على الفرات الذي يبدو خيطا رفيعا متكاسل الجريان ، انخفض منسوب المياه ، هنا ، حد أن تشك ان هذا النهر هو الفرات ، فالطفل يستطيع عبور الماء بيسر ••

توقفنا عند الضفاف ، كانت مزرعة ( عطيه فرمان وشركاه ) تطل على النهر ، وثمة مضخة متوقفة عن العمل ، سألنا عامل المضخة السيد ( **عبيد عكله علي** ) عن حـزن الخضرة والماء ••

تأملنا بعينين قلقتين •• وقال :

« هذه المزرعة تتكون من ثمان قطع زراعية صغيرة كل واحدة منهـا بمساحة

دونم .. كان الفرات يابسا ، نعبر النهر والماء تحت « الركبة » والاضرار « فوق النص » ، وبلهجته القلقة قال : « من غير الكاع الفالحة ، وغير الفالحة ، تضررت للنص .. » بمعنى ان الاضرار شكلت نسبة ٧٥٪ ، اذ لم تزرع الارض الصالحة بالمساحات المطلوبة من القطن والسمسم والمخضرات والطماطة والرقي ، أما الأرض التي لايطالها الماء ، فهي مقتطعة أصلا من « فكرة » أن تزرع !

« كنا نحفر النهر ، ونصنع المجاري العميقة لايصال خرطوم المضخة ، نحفرها اليوم صباحا وننتظر الماء ، ينز قليلا ، وعند غياب الشمس تقف المضخة اذ ان الشط كان يابسا ، صحيح اننا زرعنا على الموسم الصيفي والموسم الشتوي نفس « التهديف » يوم يزود ويوم ينقص ، ونحن نخاف انقطاع الماء تماما ..

بلغونا في العام الماضي ( من حصيبه ) بأن « نربط » ثلاث مكائن كي تستطيع المكائن الاخرى العمل ، و « بين يوم ويوم تشح المياه » واشار الى الفرات : « عاين الماء » كنا لا نرى الا خيطا رفيعا لا عمق فيه ، وحزن الرجل كما حزن الزرع ومضينا .. مع غروب الشمس على طريق الاحزان المائية .

**★ النواعير تموت بلا دموع :**

تقول الجغرافيا ويقول التاريخ :

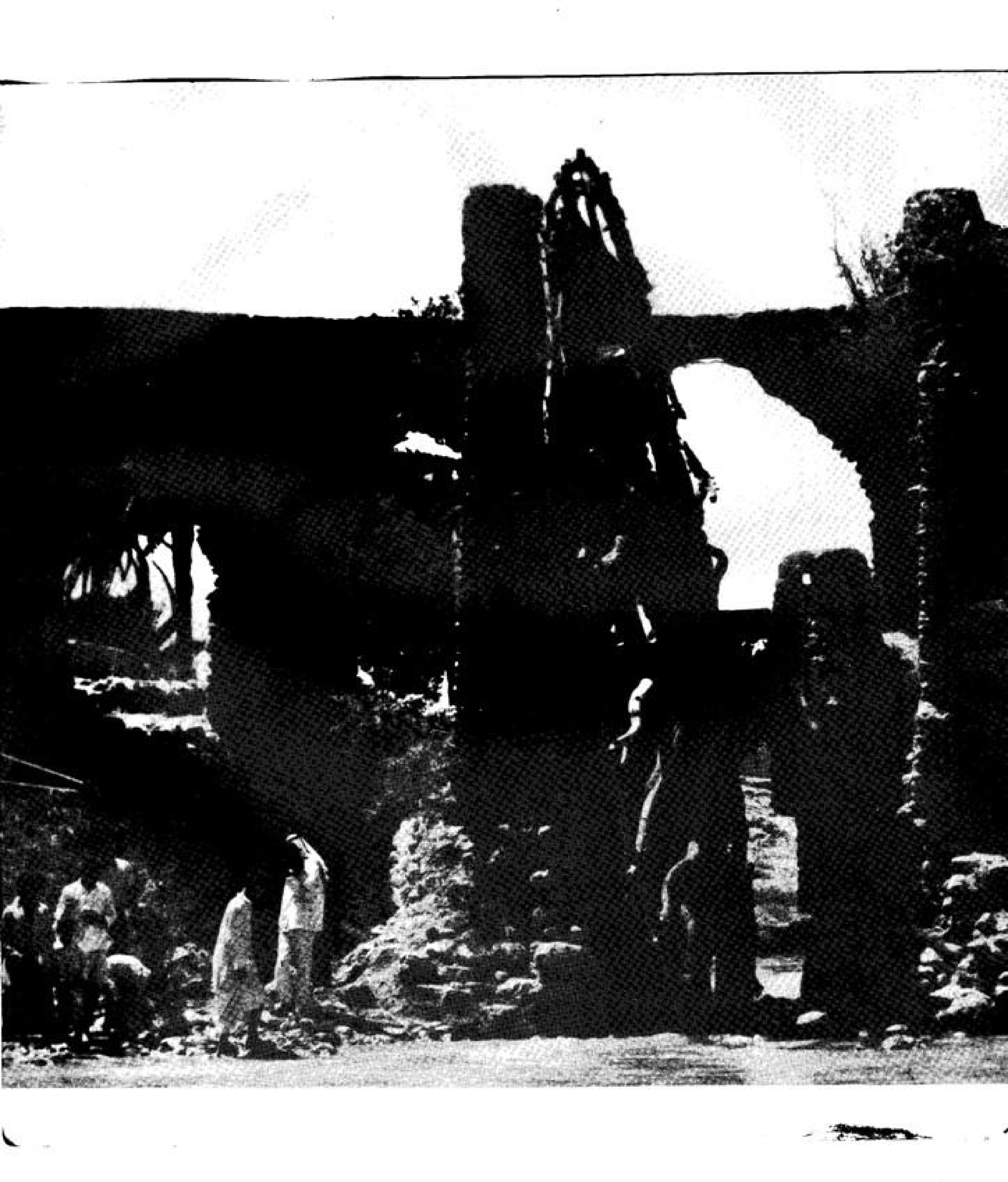
« تقع مدينة ( **عنه** ) على الضفة اليمنى من الفرات ، وتقع « راوه » على الضفة اليسرى منه ، وتبعد ( عنه ) مائة كيلومتر عن الحدود العراقية ـ السورية ، وتدل الروايات التاريخية على انها مدينة عريقة في القدم حيث كانت تسمى في زمن الرومان ( **عاناتو** ) او ( **عانات** ) وقد ذكرها المؤرخون العرب بعد ذلك باسم ( **عنه** ) حيث أشار ياقوت الحموي الى قلعتها الشهيرة المهددة « الآن » **بالغرق** ( **كمدينة** ) بعد انجاز سد حديثة !

**لا تستغربوا : ( عنه ) مهددة بالغرق ..**

ولكن متى ؟
اذا اكتمل سد ( حديثه ) أولا ، واذا عاد الفرات عذبا ، وعادت فيضاناته تهدد بالمخاطر
( فهل سيفيض الفرات يوما ، اذا استمر الحال على هذه الشحة وهذا البخل ؟ )
يشـير « جيزني » الى حضارات وادي الرافدين العظيمة في بابل القديمة وحضارة الامبراطورية الاسلامية في العهد العباسي ، خاصة في حوض الفرات حيث يصل نهر الفرات الى مدينة ( عنه ) بعد القائم ، ويضيق وادي الفرات ، هنا ، الى حده الادنى ويصبح أقل تعرجا حيث يشق طريقه عبر مرتفعات رعوية جيدة كانت بها أشجار كثيفة ، كما كانت تظهر العديد من القرى بين حين وآخر تحيطها الارض المزروعة ، اضافة الى الأطلال القديمة التي تغطي الضفتين والتي تعكس لنا مدى ما كانت عليه هذه المنطقة من الكثافة السكانية والازدهار الحضاري ..
في « نادي الموظفين » المطل على جسر ( راوه ) الجديد ، تأملنا منظر الفرات ، كان « الجسر الجديد » المستقر على الدوب ـ أيام الشحة ـ في وضع مزري ، اذ غطست الدوب ومالت قيعانها داخل الطمي فأنحرفت الكثير من هذه الدوب عن موقعها مما شكل خطورة على عبور المارة والسيارات ، ومنذ شهر ( أكد السيد عبدالصمد الذي رافقنا في راوه وعنه ) :
أجريت حملة عمل شعبي لتسوية الأرض الطينية تحت الدوب ، لقد كان النهر يابسا .. أيضا .
ـ والآن ؟
ـ مجرى النهر يشكل الوسط وحده والعمق لا يتجاوز ثلاثة أرباع المتر .
منظر الصخور التي شيدت عليها النواعير تبدو واضحة للعيان ، الآن ، في حين كانت لا تظهر الا في أيام الصيهود ، فالتحكم بالماء لم يعد عبر مجرى النهر وطبيعته بل عبر الحدود !



النواعير الانبارية صمتت بعد ان ناحت بحزن !



في منطقة ( راوه ) تسقى الاراضي بالواسطة ( وليس سيحا ) أي بواسطة النواعير أو المضخات •• والنواعير هي الواسطة الوحيدة داخل البلد والقرى المجاورة ، أما خارج البلدة فالسقاية تتم عن طريق المضخات ••

**الآن •• كل النواعير توقفت**

المزارعون اعتمدوا على زراعة المخضرات ( والطماطة بالذات ) اذ استبدلوا زراعة القطن والبصل بالطماطة بسبب شحة المياه ، فالفلاحون الذين توجسوا خيفة لم يزرعوا شيئا ( وهذه مشكلة عامة في كل حوض الفرات ) •

تبدو قلعة **( راوه )** شامخة وجميلة وهي تطـل على الفرات ، الصخور التي تحدت الفيضانات السابقة ، أظهرت كل صلابتها وجبروتها • كلما انخفض الماء ، بدت القلعة أكثر ارتفاعا •• لكن الناس الذين اعتادوا أن يطلوا على النهر بأبتسامات الرضا ، جفت ابتساماتهم مع جفاف الفرات •• وطالما حزنوا لان الفرات لم يعد نهرا عظيما •• وكلما تعكر صفاء الفرات تعكرت أمزجـة الناس ، ولم تعـد الأغنيات تصدح بالموال والعتابة ولم تعد اليشامغ ترتفع ، مع المناديل ، في الدبكات العربية •• وفي الأعراس • ان الحزن ينتاب مدن الفرات ، ويسكت الغناء كلما سكتت النواعير !

**★ معلومات راوية :**

تبلغ نفوس مدينة راوه حسب احصاء ١٩٥٧ الخمسة عشر الف نسمة ازدادت مـع الزمن ، مع الزيادة السكانية العامة ، والذين يستثمرون أراضيهم في الزراعة يشكلون قرابة ثلث السكان ، وهؤلاء تأثروا بشحة المياه الى حد ان ظـــل ثلث الثلث يزرع وبمساحات متقلصة ، وبذلك لم يتقلص المنتوج الزراعي فقط ، بل تقلصت كل أحلام المزارعين •

منطقـة **( راوه )** كانت تجهز نصف زراعة الجنوب على الفرات ، ببذور البصل ( الفسقة ) اما في هذا العام فقد تقلصت زراعة الفسقة ولم تكد تسد الحاجـة

المحلية ، لذا فأن الجمعيات الفلاحية التعاونية لم تستطع تسويق الحد الادنى من المحصول .

في أيـــام الفيضان كان المـــاء يغمر حتى أرض نادي الموظفين التي ترتفـــع عن مستوى النهر بحدود ( ٦ـ٧ ) أمتار ، اما الان فأنت تطل من أرض النادي ، وكأنك تطل من طابق ثان في عمارة شاهقة !!

★ **الشهداء الستة :**

الاسـم : ( **شـــامي** ) .. الاسم ( **ابو حذافه** .. ) الاســـم : ( **ابـو زيـد** ) ، **الكريشي ، منيف ، المقلوب** ستة أسماء لستة نواعير ، هي أشهر وأجمل نواعير (راوه) تقع متلاصقة كالتوائم يربطها حبل سري واحد هو محورها ، انها متصلة ببعضها في قرية ( **العمارية** ) و ( كانت ) تصب في « طرج » واحد !

ستة نواعير .. سميت بأسماء جميلة وشجاعة ، تهتز الان ، مفككة الاوصال ، تساقطت على بعضها ، الضلوع والسيقان ، وكأنها انتزعت ما في خصرها من رشاقة ورخص ! مرتجفة تبدو ..

تنقر خشب بعضها بحزن .. كمن تواسي ..

ويتهدل بعض من محيطها اللدن ( الذي كان لدناً ) ويصطفق ببعضه مع الريح ، وينتظر لحظة ليصطفق ثانية ، وكأنه يبحث عن صدى لصمته الحزين !

هذه النواعير ( كانت ) ..

( كانت ) .. أجل .. أي عقم يحمل ذلك الزمن الماضي حين يستعاد الان بشفقة ! ( كان ) و ( كانت ) يتثال علينا ( الفعـــل الماضي ) كذكرى عبرت أحداثها الآف المراسخ الحضارية .

( كان ) و ( كانت ) راوه .. جنة الفرات !

و ( كانت ) نواعير ( العمارية ) الستة تسقي (٢٥٠) دونما من أخصب الاراضي ، انها تعمل بشهامة الرجال •• ( كانت ) شهمة ونبيلة : شامي ، ابو حذافه ( لقوة مائـــه واندفاعه السريع ) وابو زيد ( ربما تشبها بأبي زيد الهلالي ) والكريشي ( القريشي ) للفخر بقريش العرب ••

نواعير •• وكأنها حيوات تعيش بأسمائها وامجادها وجهدها اليومي وغنائها وظلالها وتسترها الحنون على العشاق ! ( كانت ) الرواء والعوالم ، مصنوعة من سيقان ( التوت ) المقاوم العنيد •• و ( الآن ) تنوح أمامنا بأباء « كعزيز قوم ذل » !

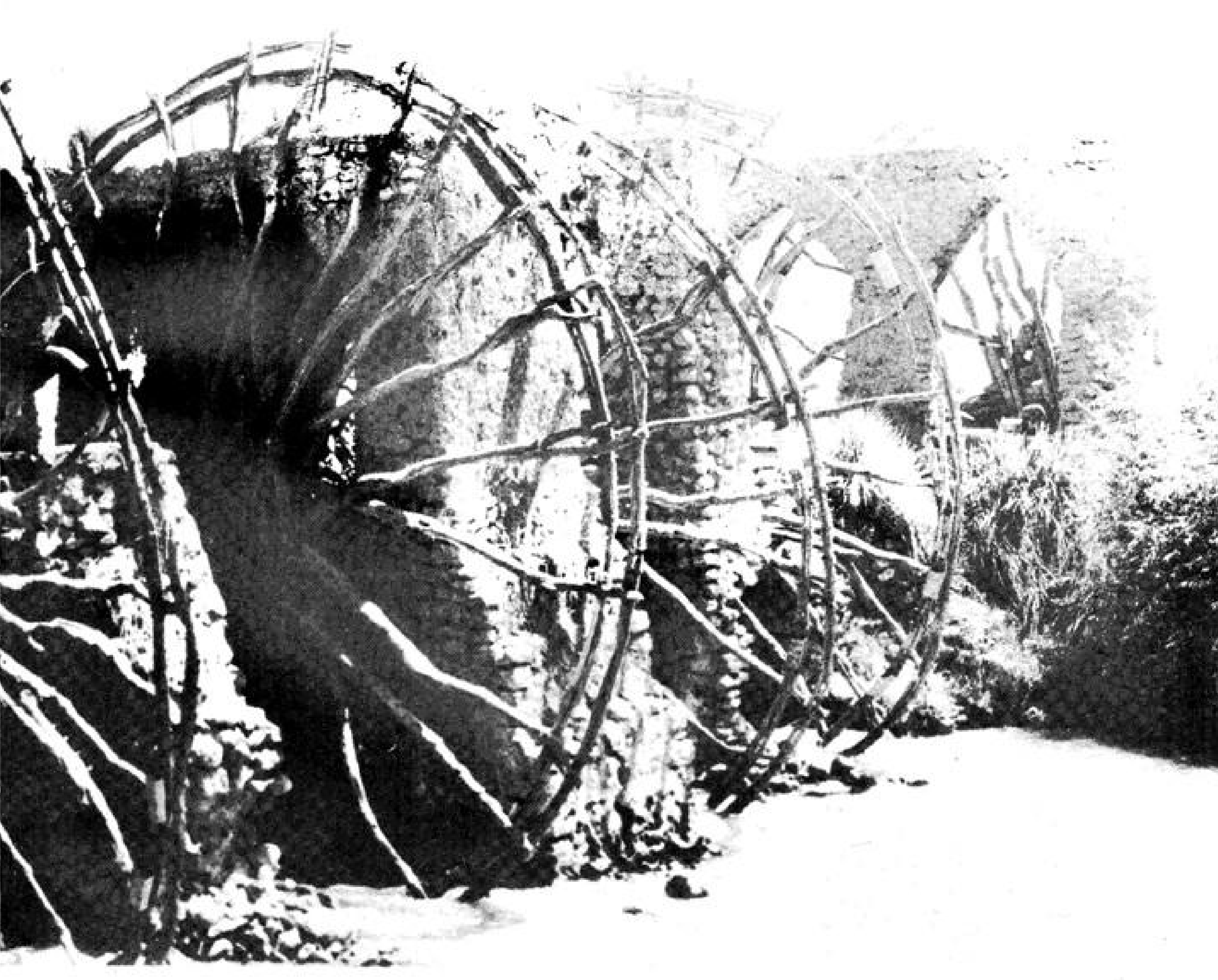
اليس جديرا بها ان تكون شهيدة !؟

**★ عن النواعير التي تنوح بالم :**

والنواعير محورية ترتكز على قطر دائري ومحور يدور بها بواسطة قوة تيار الماء ، حيث تمتليء الاواني المشدودة على محيط الناعور وتسمى « الكوك » وفي لهجة اخرى « القوق » •

والناعور الواحد لم يكن يكلف صاحب البستان الا كيسين من الحنطة يدفعهما في نهاية الموسم الى صانع الناعور ( يا لكرم الصناع المهرة ، ويا لكرم النواعير ) ولان النواعير ترتكز على أقواس حجرية جميلة ومشدودة ببعضها بالكلس القديم فهي مقاومة عنيدة لصروف الأزمنة :

كانت أقواس الحجر وظلال الشجر ورذاذ المياه وتثيث « الكوك » عشا للفاءات الحميمة ووشوشة للرومانسيين وللمتعبين معا ، كانت الظلال وموسيقى النهر والناعور ، مبعث ألفة وأمان ، كان الجمال موشى بعطر الارض والعشق والناس •• أما الآن ••• فيبدو ذلك الجمال ذكرى مطرزة بشريط أسود ، حدادا !



الشهداء الستة : اطلقنا الاسم على اشـــهر نواعير « راوه » في منطقة « العمارية » : شامي ، أبو حذافة ، ابو زيد ، الكريشي ، منيف ، المقلوب .

ستة نواعير ، ستة شهداء : انظر كيف تكسرت اعواد التوت في محيط النواعير !

**( داوه )** التي لم تجف أثداء النواعير بها يوما ، كذلك **( عنه )** و **( حديثه )** و **( هيت )** و **( البغدادي )** •• تشكو الان ! ويبقى محور الناعور ( اسطواناته وماطوره الطبيعي ) يئن وينوح من جذع شجرته البار ، حتى ليرن بالذاكرة كألف ناقوس ثائر حزين •• رأينا ••

اشجار الرمان والتين والاعناب تنحني من وراء أسوار الطين لتطل على النواعير من بعيد ، حزينة ومتلهفة ومعفرة بالترب ولقد شحب لونها وتيبست أغصانها حتى أنحنت على بقايا الترع والسواقي بأنكسار وحنان •• فاغرة الافـــواه ظلت اواني النواعير ( الكوك ) وتكسر فخارها وتكسر قلبه ، او صدأ حديدها حتى بات كئيبا ومثقـلا بالهموم ••

ومع ذلك ••

ظلت التسمية وحدها ، تصوت ضمن معزوفة الماء والفرات والسواقي والتين والاعناب والرمان ، ألم النواعير ووجدها ، ذكرى حياة الماء ، عرس الماء ، مجد الماء ••



**★ في ( عنه ) حتى الجزر غاض عنها الفرح :**

متشابهة مشاكل **(عنـه )** ومشاكل **( راوه )** ، نعم فهما شقيقتان جميلتان تقاسمتا سـر الماء وضفتي الفرات ، فالنهر الذي كون حوالى (٣٠) جزيرة بعضها ( مشجر ) ـ كما قال جيزني ـ استمرت حتى التقت حول اعالي ( حديثة ) التي تقع عـلى بعد (٨٠) كيلومترا عن ( عنه ) [ أي حوالي ٧٧ كيلومترا مباشرة في الاتجاه الجنوبي الشرقي ] حيث كان يبلغ متوسط عرض النهر في هذا المكان حوالى( ٣٠٠ ) باردة **وغمقة( ١٨ )** قدما [ انتبهوا رجاء للرقم : كان عمقه ١٨ قدما !! ] وتياره في الساعة **[ ٤ عقدة ]**

**( تقرير جيزني من حزيران ١٨٣٠ ـ حزيران ١٨٣١ ) .**

تضحكون ... ؟ .. ربما ..
حين كان عمق النهر ( الفرات ) **١٨ قدما** ، لانه الان معبر للمشاة في اكثر من موقع وأكثر من مكان !
سكان ( عنه ) تميزوا بظاهرة استغلال ( الجزرات ) داخل مجرى الفرات وعلى ضفافه في زراعة المحضرات كالطماطة والبطيخ والرقي والشلغم والسلق والفجل .. الخ ، لان هذه الجزرات لا تعتمد على السقي ، فان زيادة مياه النهر تغمرها حتى ترويها ، وحين تنحسر المياه ( في أيام الصيهود ) تحافظ التربة على رطوبتها مما يساعد على زراعة المخضرات فتعطي محصولا وفيرا تعتاش عليه عوائل كثيرة وتصدر منه كميات جيدة الى خارج المدينة .
( كان ) هذا في الماضي ، حين ( كان ) منسوب مياه الفرات طبيعيا !
أما بعد شحة مياه الفرات ، فلم تغمر هذه الجزر بالمياه ، وفقدت مع الايام رطوبتها ونداها ، حتى جفت وتيبست وتشققت الارض . بله الشجيرات والاعشاب الغريبة ، التي نمت ، فانخفض منتوج هذه الجزر ، حد أن ( عنه ) و ( راوه ) أيضا أخذتا تستوردان المخضرات بدلا من تصديرها !

**★ وفي « بروانة » مشكلة اخرى**

يحدثنا « **ابو طه** » ( **ياسين محمد امين** ) بعد مغادرتنا ( راوه ) و ( عنه ) في طريقنا الى ( حديثه ) منطقة عمله وحياته الدائمة قال :
« قريتي ناحية « **بروانة** » التي تقع على الضفة الاخرى من نهر الفرات في قضاء حديثه ( وقد زرناها بالفعل ) في هذه الناحية وضواحيها سبب انقطاع ماء الفرات وشحته هجرة فلاحية الى المدينة حيث عمل الفلاحون في مشاريع البناء وحقول النفط وكعمال اجراء غير فنيين ، وفي الغالب عمال بناء )
وفي قرية « **آل غرير** » ( **١٥٠٠** نسمة ) كان المزارعون يقطنون ضفاف النهر

ويستغلون هذه الضفاف للزراعة ، وحين حل الفيضان السابق انهدمت دورهم وحربت بساتينهم فأتخذوا مرتفع القرية مكانا للسكن والزراعة ، وفي الايام الاعتيادية ( ذات المنسوب الطبيعي للمياه ) تجــد وضعهم طبيعيا ، أمــا عند شحة المياه فـلا تصلهم قطرة ماء وفي مواسم الامطار تشكل المجمعات المائية حاجزا بين أراضيهم المرتفعة وضفاف النهر ، فينقطع عنهم ماء الشرب فترة طويلة تمتد الى الشهر واكثر ، مما يضطرهم الى شرب المياه الآسنة ، أما الاراضي الزراعية فتحصر بين النهر والقرية حيث ينقطعون تماما عن اي اتصال بالعالم اذ تشكل المستنقعات حاجزا مائيا يحــول دون عبورهم ومواشيهم ا لى الجهة الاخرى » وفي ناحية « بروانــة » انخفضت المحاصيل بنسـبة ٦٥-٧٠٪ •• قد يبدو الرقم جافا ، احصائيا ، غير مرغوب فيه •• لكنه رقم ناتيء ، جاد وخشن •• سبعون بالمائة نسبة كبيرة ماذا يقابلها اقتصاديا ، نفسيا ، معيشيا : كلمات كبيرة : الجوع •• العطش •• الهجرة •• مراحمة الايدي العاملة في المدينة ، المشاكل الناجمة عن ترك الارض ، و •• آفات اجتماعية عديدة ! هذه الكلمات ترددت على لسان الفلاحين : **ياس محمد امين وعجاج حسن** وغيرهما الكثير •

**★ ( حديثه ) النهر والنفط والمشاريع :**

ليست جديدة حكاية « **النواعير الصامتة** »فما حدث في ( راوه ) و ( عنه ) حدث في **حديثه** بصورة بشعة ، ولا يخفف منظر طريق حديثة ـ الحقلانية ، الجميـل ـ داخل المدينة ـ من خفقان القلب كلما ذكر امامنا رقم لانخفاض المحاصيل ، ورقم ، وآخر ، وأرقام ••

فالمشاهدة العينية الى مجرى الفرات تعطينا انطباعا ميدانيا : فالأطفال يعبرون النهر مشيا بقاماتهم الصغيرة ، وكأنهم يمارسون لعبـة يوميـة ! وعلى ضفة الفرات ، حيث كان السياج الحجري العالي ، لا يصد عضبة الفيضان يوما ، وقفنا كمن نتأمل شيئا بعيدا ، هو الفرات !





المضخة بدل الناعور :
زيادة في الخسائر ،
زيادة في المحروقات
( البغدادي )

★ **شهادات من اهل الدار :**

* يقول السيد **قائمقام حديثه :**

في بداية انقطاع مـــاء الفرات توقفت كـل النواعير ، وحاولنـا ان نعوضـها بالماطورات ( وزعنا ٢٧ ماطورا ـ مضخة ـ في مركز القضاء ، والعديد غيرها في مناطق أخرى • )

ـ المزارع انكمش على نفسه (٢٠ ـ ٢٥٪) من الارض المهيئة للزراعة سابقا ، أستغلت فقط •• حتى بعد دفقات المـاء الشحيح التي رطبت مجرى الفرات بعـد الشـحة !

ـ المعبر أو « العبارات » توقفت ، وتوقف معها نقل المحاصيل السابقة مما دفع الفلاحين للبحث عن طريق آخر للتسويق ( بدلا من حديثة بواسطة مركز القضاء الى بغداد ) ، أصبح الطريق حديثة ـ موصل ، وهو يكلف غاليا •

ـ ابتعاد المياه عن المضخات الزراعية أدى الى تراكم الرمال فأضطررنا الى شق قنوات خاصة داخل الفرات نفسه ، كي يصل الماء ، وقـد كلف هـذا العمل جهـدا ومالا ومحروقات ، وحتى بعد أن افلحت هـذه الجهود ظلت المضخات تعمـل بواسطة « المناوبة »

ـ ملوحة الماء وتأثيرها على الصحة العامة ، فقد بلغت ملوحة الماء حسب تقارير مختبرات الشركة العراقية للعمليات النفطية في حديثة والحقلانية (٣٤٢ بالمليون يومي ٢٠ ـ ٢١ آب **١٩٧٥** وبلغت النسبة ٥٠٠ بالمليون أيام شحة المياه تماما •• )

ـ هجـرة الفلاحين الذين اشتغلوا في مشروع حديثـة أو شركة النفط أو الخط الستراتيجي عمالا اجراء وتركوا أراضيهم ومزارعهم وبيوتهم !

ـ انشغال الجهاز الاداري في القضاء بمعالجة المشاكل التي نجمت عن شحة المياه مما أثر من حيث الوقت والطاقة والمبالغ على سير العمل في بقية مرافق المشاريع والخدمات ••

ـ حصل تأثير كبير على الثروة الحيوانية بحيث بدأت السلطات تنقل المياه الى الحيوانات بواسطة السيارات الحوضية ( التنكر )

* وقال السيد **نافع عبدالجليل** ( رئيس فرع المنطقة الزراعية في حديثة ) :

« ان التسويق انخفض بشكل واضح فمثلا سوقنا ٥٦٥ طنا من الحنطة عام ٧٣ ـ ٧٤ ، أما هذه السنة فلم نستطع لحد الآن جمع ٢٠ طنا ! وهذه لا تكاد تسد الحاجة محليا » ..

كنا نصدر الطحين ، وكان كل بيت في ( حديثه ) عامرا بالمخزون من الطحين أما الآن فنستورد الطحين من بغداد !

أما القطن فكان انتاجه قرابة المائة طن كحد أدنى يصدر منه حوالي ٥٠ طنا عن طريق التسويق ( التعاونيات ) .. أما الآن فلم نحصل على ٢٠ طنا لحد الآن !

**★ في ( البغدادي ) تموت البساتين :**

مرثية الى أشجار المشمش والتفاح والرمان وعرائش العنب ..

مرثية الى المرأة التي هرعت أيام شحة المياه تمشي في وحل الفرات بحثا عن قطرات ماء نقي للشرب ولصنع الشاي !

مرثية للحقل الايضاحي ( جمعية الانتصار ) الذي ماتت فيه كل المحاصيل ..

مرثية للناس ، للنواعير ، وللنخل الذي لم تتلألأ في عثوقه الأرطاب حتى الآن :

من سد حوران حتى وادي سهيله مناطق مزدانة بالخضرة والرواء ( كانت : مزدانة ) ، هذه هي حدود « البغدادي » حيث يصدح ألف ناعور بغناء الماء والسقي والرواء الدائم ، ولا تبح الاصوات ..

( كان ) ذلك ، في الزمن الماضي ، والماضي ـ هنا ـ هو فترة ما قبل أزمة الفرات !!

وبعجالة ، وكأن موت النهر يواظب بحماس لقتل كل شيء حي ، تراكمت المآسي !

الألف ناعور توقفت كلها ، وغلقت الألفا كيس من بذور السمسم فتحاتها ولم تزرع ، وبدل الناعور الواحد ، نصبت على ضـــفة الفرات المضخات ( كلفـــة المضخة قرابة الستمائة دينار عدا أجور العامل والمحروقات ! )

« في السنة الماضية ــ طشينا سمسم ــ يقول دحام نصيف عضو جمعية الانتصار الفلاحية التعاونية في ناحية البغدادي ــ لأرض مساحتها حوالي ٤ دونمات ، لم نحصل على المياه ، **فتلفت كل البذور !**

★ **الصورة الثانية :**

الى جانب الحقل الايضاحي زرع « مشرف نصيف » طنا من بذور البطاطا والبصل « **كلها خسرت** »

★ **الصورة الثالثة :**

ماتت ٥٠٠ **عريشة** عنب ، كما ماتت كل أشـــجار المشمش والتفاح والرمان والبرتقال في بستاني ( قال **دحام نصيف** ووقف يمسـك بالورق اليابس والاغصان المتكسرة )

لم تصدق ان الارض الجرداء ، هذه ، كانت بستانا عامرا قبل سنتين •• انـه منظر موحش ومؤلم :

« لقد بقي التوث وحده ، وهو « هيبة البستان » المحترق من عطش الفرات !

★ **الصورة الرابعة :**

كل ناعور كان يسقي قرابة الاربعين دونما كمعدل ، وكانت المحاصيل وفيرة ••

ــ والآن •• ؟!

ــ « ما صار بي عايد » !



الاشجار تموت واقفة .. انظر بستاني الذي مات

دحام نصيف ـ منطقة البغدادي

★ الصورة الخامسة :

خمسة أخوة .. خسروا كل شيء : « الحلال والمال .. » في منطقة واحدة من مناطق البغدادي .. انه مثال صارخ لجور عطش الفرات !

★ الصورة السادسة :

**سفيان دحام** خريج اعدادية الزراعة يعمل كمرشد زراعي :

جلبنا الشتلات من مشتل اعدادية زراعة الرمادي وزرعناها في المزارع لأغراض تحسين نوعية الانتاج مع ١٠٠٠ شتلة توت لتربية « دود القز » ومئات الشتلات من عرائش العنب والرمان مع العديد من أنواع البذور المحسنة ..

ـ الناتج ؟

ـ صفر !

★ « هيت » : منازعات الماء ! :

و « **هيت** » لم تعرف ارتفاع الاسعار في المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية الا الآن ( بعد شحة مياه الفرات ) .

كان سعر كيلو الخيار ( سابقا ) ١٥ فلسا أما الان فقد بلغ ١٠٠ فلس ونستمر في لغة الارقام :

ـ ٣٠ فلسا ( اللوبياء ) أصبح سعر الكيلو الآن ١٨٠ ـ ٢٠٠ فلس

ـ ١٠ فلوس ( الباذنجان ) أصبح ٨٠ فلسا

ـ ١٠ فلوس ( كيلو الرقي ) أصبح ٤٠ فلسا

( كانت هيت تمول محافظة الأنبار بالرقي وتصدره الى بغداد والكويت )

ـ الآن ؟

ـ تستورد « هيت » الرقي !



وخسرنا الواسم
( ابو رافع - هيت )

* يقول ابو رافع ( عبدالرحمن ) سكرتير اتحاد الجمعيات الفلاحية :
• الى جانب توقف كل النواعير ومناوبة المضخات ، وهجرة الفلاحين لأرضهم والعمل كأجراء مع المقاولين ، فقد أحدثت شحة المياه احراجات بين الفلاح والمؤسسات فقد أخذ الفلاحون قروضا عن بذور الفسقة ومحاصيل القطن والفستق ( عبيد ) والسمسم مبلغ عشرة آلاف دينار من أصل سلفة بحدود ١٢٠ ـ ١٥٠ ألف دينار بضمنها التسليف على الآلات والمكائن ، تسلفت المبلغ للفلاحين التعاونيتان ( المشتركة ) والعشر تعاونيات فلاحية • ( أيد أبو علاء مسؤول المكتب الفلاحي )
ـ والمردود ؟
يقول أبو رافع ويشاركه العديد من الأخوة الفلاحين وذوي العلاقة ( الري ، الزراعة ) :



في الطريق بين حديثة وعنه .. حتى الانهار الفرعية جفت

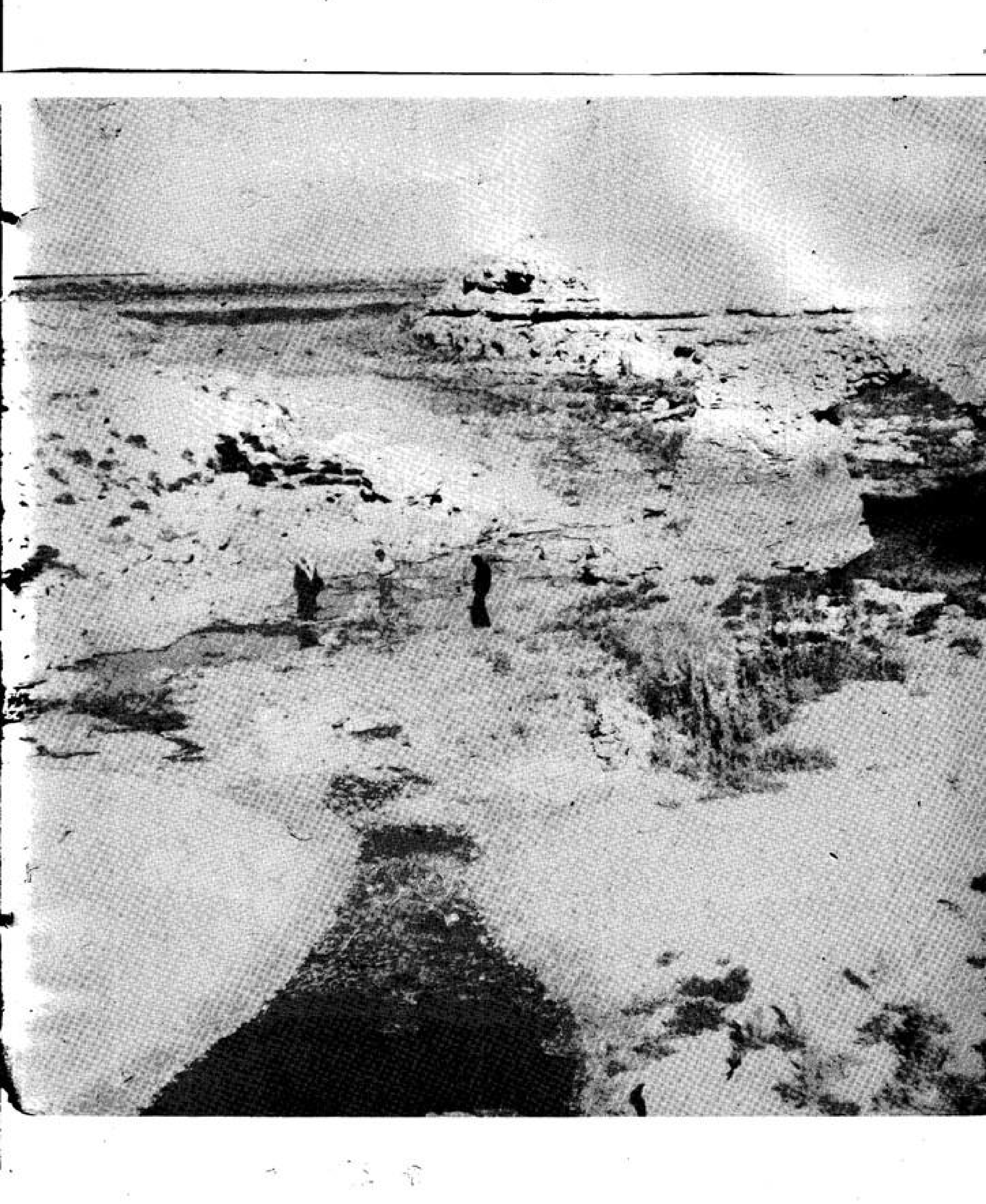
ـ معدل انتاجية الحبوب ( سنويا ) قرابة الخمسمائة طن ( في السنوات السابقة ) الى جانب كون هيت تسوق قرابة ١٥٠ طنا من فستق العبيد الى بغداد وحدها ..

ـ أما الآن ؟ فالمردود : لا شيء ( نقيصة بحدود ٧٥٪ )

ـ المشكلة الجديدة التي نشأت في المنطقة هي المنازعات حول تقسيم الماء فالملكية في ( هيت ) من ١٠ ـ ٤٠ دونما وحسب التعليمات الاروائية لا تمنح أية أرض مساحتها أقل من ١٠ دونمات أي مضخة ، لأن تعليمات الري تقضي بأن تنصب الماطورات على أساس ان قوة كل حصان يجب ان تسقي من ٧ ـ ١٠ دونمات ! وبهذا فأن الأراضي التي مساحتها ٤ ـ ١٠ دونمات ـ مثلا ـ لا تستطيع ان تشتري أي ماطور ( مضخة ) أي انه لا يستطيع المزارع أو الفلاح أن يحصل على اجازة شراء ماطور قوة ٥ ـ ١٠ ـ ١٥ ـ الخ ، حصانا .. فماذا يعمل ؟ لابد ان يشترك مع جاره بماطور واحد ، فأذا كانت أرضه مرتفعة عن أرض جاره ، تحدث المشاكل .

**الحل :**

ـ في المناطق المرتفعة الاراضي كهيت لابد ان يكون لكل حصان أربعة فدادين ! [ عملت دوائر الري في المحافظات على تذليل هذه الصعوبة وسهلت منح الاجازات لشراء الماطورات ذات القوة الحصانية الصغيرة للاراضي المحدودة المساحة .. ]





★ « الفلوجة » جنوب الانبار القاتل :

منذ « عبرنا » الفلوجة بالسيارة متوجهين الى الأنبار ( مركز المحافظة ) ثم الى القائم ( حدود العراق مع سوريا ) ، كانت أحاديث كل الذين التقينا بهم تشير بأصبع حاد الى الفلوجة ..

ـ واين تكمن المأساة ؟

تساءلنا ، في البدء ، مرددين : أليس حوض الفرات كله يعيش مأساة مفجعة ؟ .. كان الجواب باردا ويقينيا في أغلب الأحيان :

نعم .. ولكنكم لم تروا شيئا بعد .. فحين تواصلون المشاهدات ستصطدمون « بصحراء » محروثة كانت مستعدة ـ كأرض خصبة ـ لزرع الشلب .. والآن تركها أهلها الذين اضطروا الى شرب ماء المبازل ذي الملوحة العالية ، وسقوا به محاصيلهم فماتت بعد ثلاثة أيام ، كانوا يفضلون من شدة اليأس : « أهون الشرين » أو أحسن الميتتين !

**« ان نموت عطشا وتموت مزارعنا ومواشينا ، ام ان نموت بالماء المالح ! « تلك هي المسألة ! »**

**وفضلوا** الانتحار ! تعلقا بأمل واه ، وتشبثا بالماء المالح في المبازل !

كل ذلك حدث في الزمن الحالي !

حيث تختزن مياه الفرات في تركيا وسوريا بكميات هائلة ( ٤٩٠٠م$^{3}$/ثا وصل منسوب المياه في تركيا العام الماضي لم يصلنا منــه سوى ٣٠٠م$^{3}$/ثا •• وانظــروا النسبة بأمعان ! )

هكذا قال مهندس الري في الفلوجة السيد **فاضل علي غازي** وهـو يمسح سيل العرق المتفصد من هامته وجبهته السمراء ؛ وكي يخفف السيد فاضل علينا المأساة ، بدأ مرافقتنا من قرية « المصالحة والبو عكاش » التابعة لناحية « الصقلاوية » :

كان المزارع **كورجي الهايس** وشــقيقه **محمد** ، معنا أيضـا ، كما رافقنـا السيد **ابراهيم** من الجمعيات الفلاحية في الفلوجة ••

قال ابراهيم : « لقد اضطررنا الى دمج بعض الجمعيات الفلاحية ، لأن الفلاحين تركوا الأرض حين تحولت الى سباخ ! »

في « **البو عكاش والمصالحة** » وقفنـا نتأمل الفرات بيقظة : انه ساكن ومريض ، لاحظنا « جزيرة » جديدة تكونت من طمي الفرات طولها كيلو وستمائة مترا وعرضها من ٤٠٠ ــ ٦٠٠ متر تكونت بموازاة الفرات على الضفة وسدت طريق المــاء عن « البو عكاش والمصالحة » مما جعل الفلاحون ، وبمساعدة السلطات المحلية التي اعطتهم حفارا كبيرا ضخما ، ان يقوموا بحملة عمل شعبي لحفر مجرى ممتد من النهر الى مزارعهم ( حوالي ٣٠٠٠ دونم ) ونصبوا ست مضخات ( قوة ٣٥ ، ٣٠ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ١٨ ، ١٨ حصانا ) وفي حزيران ١٩٧٤ تم الحفر ! لكن المنطقة لم تستفد من ذلك على صعيد الموسمين الشتوي والصيفي :

« اذا الحفارة تحفر وماكو ماي شنو الفايدة ؟! » قالوها بحزن وصفقوا بأيديهم بمرارة !

« فاذا انخفض منسوب الماء ٢٠ سنتمترا ينقطع الماء عن الجدول تماما » ـ قال مهندس الري ـ

« ماتت الحنطة ، ومات الشعير ، والبصل ، وماتت الباقلاء .. بذرنا للموسم الشتوي وما حويناه ! وظلت عشرات العوائل الفلاحية تتلهى بزرع الرقي والطرح ، ولكن دون جدوى ! »



انا واخوتي لم نزرع الارض بعد شحة المياه
( محمد الهايس ـ الصقلاوية )

★ **معلومات اروائية عن موت الارض :**

ـ **وصل تصريف** مياه جدول الصقلاوية الى ٤م٣/ثا من أصل ٢٥م٣/ثا

ـ **ناظم جدول الصقلاوية** يروي حوالي **(٢٠٢)** ألف و **(٧٤٧)** دونما **وهو مصمم** لتصريف أقل من ربع الكمية **( وهي لا تكاد تكفي للشرب )**

ـ حوالي **٦٥** كيلومترا ، هي طول الحدود ( تصريف الاربع أمتار مكعبة من الماء في الثانية ) فحين يجري الماء في كل هــذه المساحة **لا يتبقى** منه في بزايز المشروع **حتى ماء الشرب !**

ـ المفروض أن يصل ماء الصقلاوية حتى ( الغريباوي ) ـ مشروع الشعلة بغداد ـ ( أي أن مساحة **٥٧٤٦** دونما ـ مشروع الشعلة ـ**لا تصلها المياه نهائيا** ، فأضطروا الى حفر الآبار من أجل ماء الشرب !

ـ شاخة **٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥** ( بني تميم ) ضمن محافظة بغداد ، اداريا ، مجموع مساحتها **١١** ألف دونم يصلها الماء من الصقلاوية ( سابقا ) **( لم يصلها الماء )** ، الآن ، بسبب **شحته )**

ـ شاخة **٧** ( البور ) ناحية ذات السلاسل ـ الكاظمية ـ تستقبل المياه من الصقلاوية ، **هجرها الفلاحون** . **( لم يصلها الماء نهائيا ! )**

ـ منطقة الضابطية : (١٦٠٠) دونم ضمن محافظة الأنبار : **هجرها الفلاحون**

ـ جدول الكشاشي (٤٠٠٠ دونم) : **هجره الفلاحون !**

ـ شاخة تنوحة : (٣٠٠٠ دونم) : تابعــة للاصـلاح الزراعي وتزرع أحسن أنواع الشلب ، وقفت مضختها ( السيح وقف ) ولم يصلها الماء : **هجرها ألفلاحون !**

ـ جدول الطربولية : (١٣٠٠٠ دونم) تقع المضخات على مسافة **٩** كيلومترات من

بزايزه ( لم تصله المياه ) : **هجره الفلاحون !**

ـ العيساوية : (١٧٠٠٠ دونم طوله ١٢ كيلومترا) : **جف !**

ـ جدول الكصاوي : (١٥٠٠ دونم) : **جف !**

ـ صدر جدول علي السليمان (١٠٠٠٠ دونم) : **ماتت كل المزروعات !** ، ( ينقلون ماء الشرب بواسطة البغال ومن مناطق بعيدة )

ـ شاخات ١ ، ٢ ، ٣ (سكر) تابعة للفلوجة والكرمة مساحاتها : (١٤٠٠ ، ٢٦٠٠ ، ١٠٠٠ دونم) يبست كل بساتينها ( التي تكثر فيها أشجار المشمش والبرتقال والليمون ( نومي حامض ) والگوجه ) : **كلها ماتت !**



**اراضي الشلب هجرها الفلاحون والماء لا يصل الشالة**
**( ناحية التنوحة والكشاشي ـ الفلوجة )**

★ **كلها ماتت :**

**في العيساوية** هناك عبارة أقرب الى المثل تقول : « من تمشي من الصدر الى البزايز لا ترى الشمس »

بمعنى ان هذه المنطقة وغيرها مكتظة بالبساتين لدرجة انك لا ترى سوى ظلال الأشجار الكثيفة : **كلها ماتت !**

ـ مبزل الكرمة : ( في الاصل من الجداول الاروائية في العهد العباسي ) : ماؤه مالح ! (سنة ١٩٤١ أغرق بغداد !!)

كان مؤشر منسوب المياه يتعرى في الشمس ، كل الارقام واضحة ومنحوتة •• في جدول علي السليمان ( في بداية تفرعه الى جدولي بنات الحسن والمشخنية ) وفي يوم ٢٣ـ٨ـ١٩٧٥ (ظهرا) مؤشر منسوب المياه يشير الى الرقم (٣٦ ـ ٢٥) في الايام الاعتيادية ( كان ) المؤشر يسجل (٣٧ ـ ٦٠) أي ان الماء انخفض بمقدار متر و ٣٥ سنتمترا ••

قد لا تصدقون •• ان أحد مؤشرات المنسوب سجلت درجة : صفر ! ، اذ كان الماء لا يغطي حتى قاعدة الحديد ! وكانت المنافذ المطلة على الجداول تبدو جافة وبعيدة عن الضفاف بأرتفاع لا يقل عن المتر و ٣٥ سم •• بمعنى ان هذه المنافذ تحتاج الى منسوب من الماء على ارتفاع قرابة المترين كيما تغطي المياه الفوهة وتندفع الى الاراضي والبساتين ••

**لاحظوا :** ان جدول بنات الحسن عليه ٥٥ ألف مشارة : **كلها ماتت !**

**★ احاديث .. ولكن !**

* حدثنا السيد **جميل عبدالرحمن** ( رئيس فرع المنطقة الزراعية في **ناحية الكرمة** قائلا :

« طلبنا من الفلاحين زراعة ١٠٪ من مجموع مساحة الأرض الصالحة المتبقية بعد شحة المياه فزرعوا ثمانية آلاف دونم لم تنتج شيئا .. فقد تقلصت الزراعة في منطقتنا الى حوالي ١٢ ألف دونم تضررت منها ٨ آلاف ، والاربعة آلاف التي انتجت محاصيلا زراعية كانت متضررة بنسبة ٥٠٪ أي ان محصول الاربعة آلاف دونم ، لم يكن نصفه صالحا ! »

وقدم لنا السيد جميل لائحة بمساحات ( ٢٣ قطعة تتكون منها ناحية الكرمة ) كلها تضررت .. ( تتراوح مساحة كل مقاطعة من ٨٥٢٠ دونما حتى ١٨٢٨٩ دونما )

* ـ يقول مهندس الري السيد فاضل .

« لقد اضطررنا الى بناء ٦ نواظم على جدول علي السليمان بعد حبس مياه الفرات وشحتها لنوزع الماء ( بالتقنين ) على المزارع ، اما في السابق ، فكان الجدول يسقي الاراضي مدة ٢٤ ساعة يوميا !.. »

**★ نداء الأرض :**

والارض تقول :

هجرني أهلي وعشاقي ، لأن الماء لم يرطب ذرة من ترابي .. حرثوني بعناية وازاحوا عن جلدي كل الاشواك ، مسدوا جسدي ووسعوا ثغرات خلاياي ..

لكني كنت ظمأى •• وتوسعت الخلايا ، توسعت ، حتى تشقق جلدي وجفت ضروعي •• ومت !

هجرني أهلي ، •• لأنني لا أريد لهم الموت •• بعد الزرع والكلأ والمواشي ! اموت •• انا الارض ، وتموت الحياة على ربوعي ، وتموت الأزهار وينطفيء ضوء القداح وعطره ، تموت كل السواقي وتشحب حتى ضفاف المبازل •• حتى الملح مات •• في قعر المبازل !

ـ « اذهبوا » •• قلت للأهل •• اذهبوا « فأرض الله واسعة » ! بكى الأهل ، وبكت المحاريث والمناجل ، وبكت حتى الاشواك ! ذهب الأهل•• وبقيت وحدي : انا الارض التي كانت خضرتي ، وكان خصبي يمنح الدفء للملايين ••

انا الارض التي كانت ظلالي وطنا للمتعبين ••

انا الارض التي كانت ضروع المواشي ، تحلب وتحلب بعطاء ثر ••

انا •••

**اموت الساعة •• واموت كل لحظة ••**

وانظر الى الفرات ، هذا الحبيب الذي اغتيل على ربوعي !

والى الذين حبسوه فأوغلوا في خيانة جسده ، (حوض النهر) ••

وابتسم برثاء ••

وانظر الى ••

الى ••

اليكم أحبتي ،

وأفخر لصمودكم !

★ مشهد ختامي :

★ لقطة عريضة : وقفنا على التلال الترابية التي خلفتها عمليات حفر مبازل الصقلاوية على حدود محافظة الأنبار ـ مدينة الكاظمية (بغداد) •• تنظر على مدى البصر ، لم نر بشرا في البيوت ( كانت البيوت مهجورة ) • لم نر قطرة ماء في الجداول ( كانت المتوحة يابسة ) ، لم نر بقايا خضرة أو مزروعات ( التفتنا جهة الكشاشي ، كان يابسا أيضا ) ، سألنا مرافقنا عن معلومات الارض وأصحابها ومحاصيلها قال :

**الاسم : عبدالامير الاسترابادي**
**المساحة : ٧٠٠ دونم**
**نوع الزرع : ( سابقا ) الشلب •**
**الآثار : الارض محروثة ومتروكة وقد غزتها الاشواك والاملاح •**

★ **لقطة ابدية** : الارض •• الارض •• والفرات بعيد !

* تم حفر (٢٢) بئرا لتأمين المياه لبعض البساتين والمزروعات القائمة ونصبت عليها (٢٢) مضخة مجموع قواها الحصانية (١٢٣) حصان • [ الماء مالح !! ]

* للافادة بعض الاضرار التي نجمت عن شحة المياه خصوصا بالنسبة للبساتين وللتعويض عن النواعير التي توقفت في نهر الفرات تم نصب (١٠٤) ماطورات مجموع قواها الحصانية (٨٧٣) حصانا •

★ **احصائيات وارقام ذات دلالة**

- ظهرت في مركز محافظة الانبار ( على حوض النهـر ) الجزر الرملية في عـدة مناطق ، وامام المضخات مباشرة فسببت انقطاع الماء عن مساحات واسعة من الاراضي كما مبين أدناه :

١ - **منطقة الطرابشة** : ( انقطع الماء عن ٩ مضخات متجاورة ضمن جزرة طولها ٣ كيلومترات/مساحة المنطقة حوالي ٣ آلاف دونم )

٢ - **منطقة زنكورة والقطنية** ( ٣ مضخات/١٥٠٠ دونم )

٣ - **الدشة** ( مضختان كبيرتان/٢٠٠٠ دونم )

٤ - **البو بالي** ( انقطع الماء عن ماكنة واحدة/١٠٠٠ دونم )

٥ - **الصهالات** ( ٤ مضخات/٢٠٠٠ دونم )

٦ - **الحماميات** ( ٤ مضخاتقوة الواحدة ٧٨ حصان و٣ للاصلاح الزراعي ٤٠٠٠ دونم )

٧ - **الصقلاوية** ( مدخل الجدول ٦ مضخات/٣٠٠٠ دونم )

٨ - **البو شجل** - البو صالحة - البو عكاش ومناطق أخرى متفرقة انقطع عنها الماء كل على انفراد .. وظهرت أمام المضخات جزرات رملية .

* ظهورالجزر الرملية أعاق عملية الحفر للمضخات !

* احصائية عن النسب المئوية التقريبية للنقص الحاصل في المياه سيحا وضخا ، شتاء وصيفا ، في حدود محافظة الأنبار :

أ - نسبة النقص في الشتاء سيحا (٦٥٪) سببت التقليص في الارض المزروعة (٢٧٠٠٠) دونم

ب - نسبة النقص في الشتاء ضخا (٢٥٪) سببت التقليص في الارض المزروعة (١٣٢٠٠٠) دونم

ج - نسبة النقص في الصيف سيحا (٦٠٪) سببت التقليص في الارض المزروعة (٨٠٠٠) دونم

د - نسبة النقص في الصيف ضخا (٣٥٪) سببت التقليص في الارض المزروعة (١٧٠٠٠) دونم

★ **معلومات عن عدد المضخات العاملة في حدود محافظة الانبار ( بعد تعطل النواعير ) :**

| عددالمضخات | مجموعالقوةالحصانية | المضخاتالمتوقفةشتاء | المضخاتالموقفةصيفا |
|---|---|---|---|
| ١٤٩١ | ٢٧٩٤٨ | ٢٠مضخةقوتها٥٠٠ | ٥٠مضخةقوتها١٢٠٠ |



**★ الفرات يخطط قلبه بالألوان !**

على خارطة الوطن يخطط الفرات قلبه بالألوان •• ويبكي !
وعلى خارطة الوطن تفحص الفلاحون قلوبهم بألم وارتباك
فالتوازن مذهل وعنيد بين سقم الفرات وصلابة الفلاحين ـ رغم قلقهم ـ بين الحبس ، ومأساة النهر •
كان الفرات مترفا ، أمينا لحضارة وادي الرافدين ( أرض السواد ) وكان أغنية مترعة الألحان ظلالا ودلالا وغنجا ••
نسج فيه الشعراء أحلى أغانيهم ، وتحت وارف ظلال بساتينه ورذاذ مياه نواعيره نام المتعبون بأمان ••

لكن النهر المترف ، متقلب الأهواء •• لم يعد نهر الحضارات والمعجزات والعذارى ـ الضحايا ، فالسجين الذي اغتيلت حريته ، اغتيلت عافيته أيضا •• لقد اغتالوا فيه

كل طموح ، واغتالوا فيه القلب النابض ..

يسحب الفرات نفسه ، من حدودين ، بصعوبة ، فقد نفثوا في رئتيه السموم ، ووضعوا الملح في دمه ، حتى ضجت شرايينه بالألم .

ولم تعد « أشعة القلب » التي يحملها ، عبر العهود ، الا ذكرى الماضي ! وقف الفرات يتفرج على صوره القديمة .. ويبكي !

وقف يتفرج على شبابه و ..

ووقفنا نتأمل خارطة الادريسي [ المتوفى عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ ] ونرثي تلك الشرايين للزرق المكتظة بالرواء ، والتي تظللها الخضرة في كل الحوض الفراتي العظيم ..

ونرثي شبكات الري العباسية البالغة الذكاء ( كانت اوربا ـ كما تبدو في صورة ذلك الزمان ـ غارقة في سبات عميق ! ] ومع ذلك .. فالرثاء ليس حالة دائمة ، ليس حالة مستحيلة ، ..

انا نرثي الذين قطعوا عنا الماء ، ليقطعوا عنا سبل الحضارة ، ولكن هيهات !

**★ عصر للانجاز وعصر للتذكر !**

تفحصنا خارطتنا ، كنا نقف في مقدم جدول « **ابي غريب** » وتذكرنا « **تقويم البلدان** » كـــان « **ابو الفداء** » يسمي نهر أبي غريب تسمية أخرى ..

ولنتوقف ، هنا ، قليلا لنعاين شرايين العباسيين والعراق الحديث نقارن بين خارطتين وتعبيرين ، بين عصر للانجاز وعصر للتذكر :

يقول أبو الفداء في « تقويم البلدان » :

ـ ويخرج من نهر الفرات عدة أنهار منهـا نهر عيسى [ ونسبته الى عيسى بن

عبدالله بن عباس وهو عم الخليفة المنصور ] ومخرجه من الفرات قبالة الكوفة من موقع يقال له ( دهما ) •• وقبل مخرجه من قرب الأنبـار [ تحت قنطرة ( دهما ) عنـد الفلوجة ] يسير الى بغداد ، فأذا وصل الى المحلول تفرعت عنه عدة أنهر فيصب في دجلة [ يشغل الآن هذا النهر جدول الصقلاوية الذي تحدثنا عنه في فصل سابق ]

ـ ويخرج نهر آخر هو « صرصر » ومخرجه من الفرات مخرج نهر عيسى ويسير في سواد العراق بين بغداد والكوفة حتى يصب في دجلة [ ويجري مجراه ـ حاليا ـ جدول أبي غريب ـ وهو بداية رحلتنا في هذا الفصل ]

ـ أما نهر الملك ومخرجه تحت نهر صرصر عند الفلوجة فيسقي ما عليه من سواد العراق ويصب في دجلة تحت المدائن [ ويجري مجراه الآن جدول اليوسفية ]

ـ ونهر كوثي ومخرجه من تحت نهر الملك [ يجري في مجراه نهر اللطيفية ]

★ **الموقع والمنحدر (صورة رقم ١) :**

**وابو غريب** الذي يسقي **(٢٣٢)** ألف مشارة [ يقطنه حوالي **٦٥ الف نسمة** ] تضرر هو الاخر ( في البزايز ـ خاصة ) بنسبة ٨٠٪ رغم الكفاءة الاروائية العـــالية التي يتميز بها نتيجة أعمال الصيانة المستمرة ووجود تكسية حجرية لضبط جوانب المشروع لاعطاء التصريف الكافي ورفع كفاءة سحب المياه ، لكن « حين تقل مناسيب الميـاه في الفرات ـ يقول السيد عبدالجليل كاظم حسن ـ مهندس الري ـ تقل كفاءة الميـاه وتزداد ضائعاتها نتيجة التبخر •• الخ •

هذه الحالة الاروائية العالية منذ العصر العباسي أخفقت أيام شحة المياه كان تعطي حاصلا اعتياديا ، « فالبذور » التي زرعها الفلاح سليمان أحمد من قرية الزيدان ـ مثلا ـ ( رب أسرة من ١٤ فردا ) تقارب المائة كيلو ، وكان حاصلها صفرا نسبيا ، يعقب



نعم اصابنا الفرر وماتت المحاصيل
سليمان احمد ( ابو غريب )



نتقاسم خيط الماء مع الضفادع والمواشي والجراثيم
( صباح حسين ـ قرية الفرات ـ اليوسفية )

سليمان : « الواحد ونص طن التي حصلت عليها من المائة كيلو متضررة على النص فلم تطعم عيالي ! »

[ تصاريف المياه وصلت في المشروع بنقيصة نسبتها ٥٠٪ وأكثر ] •

**★ صورة رقم (٢)/قديمة !**

« وحين جاءت الحضارة العربية الاسلامية غدت ضفاف الفرات عامرة وحافلة بالمدن والمزارع وآهلة بالسكان »

★ **هاجروا .. ولكن :**

حتى جدول ابي غريب ذي الكفاءة الاروائية العالية لم يسلم من مر       القلب ، الذي يعاني منه الفرات ، ولا يستطيع أن يضخ رواءه الى حوضه [ تم نصب مضخة قوتها تتراوح من ٥ـ٨ حصانا لتسقي كل واحدة من ٢٠ـ٤٠ دونما ، وسمح للفلاحين بحفر ٣٠٠ بئر في أراضيهم ، لكن الماء كان مالحا وغير صالح للأرواء ، وحدثت هجرة داخلية بنسبة ١٥٪ ، في حين تم توزيع المـــاء بالمناوبة الى جانب السيارات الحوضية لسد حاجة السكان من ماء الشرب ، ولان الحصة المائية الواردة للمشروع قليلة وتنخفض باستمرار فقد انعكس ذلك على الفلاحين ، نفسيا فتقلصت المساحات المزروعة ] . **( قال مهندس الري )**



**نهاجر والفرات حزين !**

**ـ اليوسفية ـ بزيبز**

★ صورة رقم (٣) :

« .. وساد ضفاف الفرات الخراب بعد سقوط الامبراطورية العباسية في بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ولم ينل هذا النهر الاهتمام الواجب وأخذ يغرق ويدمر لما امتاز به من تقلب كبير في كمية مياهه » .

★ شيشبار وقهر الظما :

يداهمنا الحر ، تداهمنا الشمس ، وعلى شفاه الفلاحين كان الفرات يبكي .

كم يعتصر فؤاده ، لقد سجنوه حتى أصابه الوهن ، ولم يعد قلبه ينبض بدفقات الخير والعطاء ...

كان الفرات في « شيشبار » أغنية حزينة على شفاه القوم :

ـ **شيشبار :** شجر ومخضرات ، غنى في الارض وغنى في النفوس !

ـ والآن ؟

ـ گاعدة .. تماما !

ـ كيف ؟

عناق بين الارض اليباب ( بزايز شيشبار ، بزايز اليوسفية ، البو حلان ، ومناطق أخرى اصابها الجفاف ) حفرت الحفارات ١٤ بحيرة حتى أكلت أذرعها .. ماتت المخضرات ، وماتت مواسم الزرع والفرح !

ـ والبستنة ؟

ـ الحمضيات والنخيل داهمها قهر الظمأ !



حتى النخيل لم تعط عثوقا
نعمة الناصر - المحمودية



اللوحات مستعدة .. ولكن اين الماء ؟
- صدر اليوسفية -

★ **صورة معكوسة :**

ـ عام **١٩٧١** أعطت **اليوسفية** أنتاجية عالية من الشلب بحيث بلغت النسبة عشـــرة اضعاف البذور [ كل واحد أعطى عشرة أضعاف ! ]

ـ هذه السنة : اليوسفية تعطي : « **لا شيء !** »

ـ مزرعتي **(١٢٠)** دونما كانت تعطي **٢٥** طنا من الحنطة و**٢٧** طنا من الشعير عـدا المحاصيل الاخرى !

ـ وهذه السنة ؟

ـ أعطت نصف طن فقط ! وأنا الان اشتري الطحين لعيالي بعد أن كنت أصدره حتى خارج العراق [ **قال : نعمه ناصر** ]

★ **صورة اخرى :**

واليوسفية الشهيرة بزراعة البطاطا الجيدة النوعية ( كانت تصدر عشرات الآلاف من الاطنان سنويا ) تعاني الان من شحة المحصول

ـ وصلنا الماء ، قليلا في بداية الموسم ( تمام .. ) وحين زرعنا ( بذرنا ) انقطع المـاء ( حبسوه ) **فخسرنا كل شيء**

[ هاجر الفلاح **عباس السدحان** وهاجر لفيف آخر من الفلاحـــين فتقلص سكان المدينة ـ كانوا ٤٠ ألفا ـ وخسرت المزارع والبساتين أذرعا طالما عرفت بفتوتهـــا وشهامتها ! ]

**★ أصدر الأنهر :**

ـ « **الكشك** » أصدر الانهر فياليوسفية ( مساحته **١٢** ألف دونم ) يطلب الماء بالاواني الصغيرة لسد الحاجة من ماء الشرب ( نتيجة الظمأ الظالم )

**★ صورة قانونية :**

« المشكلة القانونية لاستغلال نهر الفرات نشأت عندما بدأت تركيا وسوريا التفكير الجدي في تنفيذ مشروعات استغلال نهر الفرات للافادة من مياهه الى أقصى حد ، مما عجزت كمية المياه الموجودة عن تلبية كل ادعاءات دوله حيث بلغت **٥٣** مليارا من الامتار المكعبة ، بينما لا يزيد متوسط الايراد السنوي لمياه الفرات على **٢٧** مليارا من الامتار المكعبة ( مقدرة عند الحدود التركية ـ السورية ) .

ـ فماذا يتبقى للعراق اذن ؟

**★ صورة التضاد :**

ـ تفرعات شرايين النهر عند حد الفلوجة وبغداد تتفاوت بين الخضرة ولون الملح ! **هذا القوس** الانيق الذي يحيط خصر بغداد ، بدء بأبي غريب وانتهاء **باللطيفية حيث تجري جميع** هذه الجداول بين نهري دجلة والفرات بصورة متوازية تقريبا .. **يذكرنا القوس** اللدن بالعصر العباسي ، حيث كانت تجري نفس الجداول ، **كما اشار البلداني** « ابو الفداء » في كتابه « تقويم البلدان » .

**هذا القوس** اللدن نرى في نهاياته ( ذنائبه / بزايزه ) مدناً محترقة ، ليس بالنار ، **بل بالماء الذي غاض !**

★ **مرثية الحركاوي :**

كانت سعة الارض نهارية التطلع ، تسعى العين أن تلم بأبعادها على شسوع وحرقة شمس • فلا تقدر : أرض شاسعة وشمس عريضة اللهب والانارة والتوهج ، لكن هذا الشسوع الضوئي ـ الارضي ـ اللاهب « كان » قرية نضيرة وعشيره متآخية وحركة عمل دؤوب ـ قبل ان يشيح الفرات بوجهه عنها ـ

« الحركاوي » [ والتسمية عامية ، حارقة وخشنة ، كما هي على الطبيعة ]

ـ لماذا ؟

ـ اهي نذير شؤوم ، هذه التسمية ـ المصير ؟

ليس بالنار احترقت ، بل بالظمأ ••

هل يدرك الضمير العائلي هذه الصورة الحبلى بالألم ، وأي نوع من الكارثة تعيش



بيوتنا المهجورة •• كانت « الحركاوي » قرية عامرة •

بعض قرى حوض الفرات ؟!
« الحركاوي » هجرها الفلاحون
« الحركاوي » أمتلأت غيضاً
« الحركاوي » يدور بعض فلاحيها ، في الارض ، عاشقاً مجنوناً •
كان الزرع نشيد الفرح الشامل ،
كان الماء عذباً فراتاً ••
ولكن :

غاض الماء ••
غاض الماء ••
غاض الماء !••

حتى أصبحت « ماء » ( الكلمة ) عتيقة كأنها استخرجت من « قاموس أثري » •
على شقوق المحاريث ظلت ••
ثنيات الارض ، خصرها اللدن ، وخطوط العمر ، على جلدها الاسمر ، ظلت ••
عارية أمام الشمس
عارية دون ان تستحم بالماء
عارية •• حتى احترقت !
وظلت بيوت الطين المتكئة على بقايا بعضها حزينة ، نائية ، ومهجورة ! وعلى بعد ••
كانت جذوع أشجار النخيل تطاول مرارتها ، كي تحمل شارة الفداء ، على أرض
كانت تجهز نفسها للعرس المائي ، تفتح كل نوافذ مساماتها لتستقبل فرح الماء ••
لكنه غاض ! حين طلق الفرات حوضه ، هجر القوم الديار ••
كان الفلاحون يغنون كل مساء أغنية الماء والقمر ، والمحاصيل الطموح ، كأنّ عرسهم
الأرض يزوجون عليها الفرات فيسامرونهما بود حتى الصباح ••
اخرجوا مناديلهم المطرزة ، وعباءاتهم ذات البـــلابل الذهب ، والكوفيات ناصـعة

البياض ، والنسوة زوقن خدودهن بالاحمر ، ولون شفاههن بالديرم اللوزي ••
وتهيأن لعرس الماء ••
لكن الفرات طلق حوضه ، فهجر الفرح الفلاحين ، وهجر الفلاحون الارض ،
وتركوا الاحزان آثاراً تئن بها الرياح ••
« **الحركاوي** » ••
مرثية الارض التي طلقتها الفرات ، والفرات الذي حبسوا نبع مائه ورجولته !
- ★ **يتقاسمون الماء :**
كل خمسة أيام ، يمر خيط الماء ضعيفا في ترعة ، لمدة ثلاث ساعات ( فقط ) ، وأحيانا
يزور هذا الضيف الضعيف مرة كل اسبوع •• ويغادر القريـــة الفراتية الظمأى
بصمت !
• كل الايام الاخرى نشرب من بقايا خيط الماء الذي تغوطت به المواشي وأفرزت ما
شاءت من فضلات •• تتقاسم والضفادع والجراثيم « ماء » الترعة الآسن ! بمرارة ،
أشار **صباح حسين** بيده المتعبة الى الترعة ، ثم اشار ثانية الى بيوت الطين « **في مجمع
قرية الفرات العصرية** » [ ١٢٠ دارا هجرتها ٢٠ عائلة فلاحية ] عشرون بيتا مهدماً -
أنتم تشاهدون المنظر - لا ماء لدينا ، ومواد البناء لا تستقيم ولا تصار بيتاً الا بالماء !
ويتجمع الاطفال ، يمسحون بأذيال « دشاديشهم » وجوههم التي يسيل منها العرق
مختلطا بغبار القرية •• يخافون عين الكاميرا وينظرون اليها بقلق واستطلاع يلتصقون
على بعضهم « جلدا على عظم » أشباح أطفال ، كأنهم فقدوا العافية منذ ولادتهم فلا
ترى أية التماعة شبع أو ارتواء على محياهم الحزينة ، لقد نخرتهم الامراض بعد
غياب الماء والرواء •
« يـــا أطفـــال كل العـــالم •• يـــا حلوين ! » ( وأتذكر الأغنيـــة واحزن )
كان وداعنا صامتا ••حركوا أرجلهم في وحل الترعة وهم يقتربون منـــا مودعين ،

كان الطريق الى « صدر اليوسفية القديم » محفورا بخشونة على وجه الارض ، وعراً وحزيناً ـ وحين طالعنا « الصدر » كان ضامراً ، كأنداء جفت منذ سنوات القحط كان الصدر متهالكاً وحزيناً ومثلوم الخاطر !

**ـ ولد صدر اليوسفية ـ كجدول ري ـ عام ١٩١٨**

**ـ مات صدر اليوسفية ـ كجدول ري ـ عام ١٩٦٦**

وظلت ملامح مشروع أروائي تشكل شاخصاً غريباً متآكل الجنبات

ـ **الاسباب :** تقلب أهواء الفرات !

... ... ...

... ... ...

في الفيضان الاخير ( ٦٩ـ٧٠ ) كان الفرات يافعاً ومعتداً بنفسه حد التدمير ، منطلقا يشق الارض كزلزال ، لم تعد ضفافه القديمة تكفي لاندفاعه المتكبر العاتي ، كان نهماً وعريض الغضب ، حتى طفت مياهه وحطمت سدود التراب المتواضعة والضفاف القديمة والأراضي !

لم يأبه بالناس ، كان كمن يبحث عن عاشقة هربت من العشيرة الى البحر ، يروم الوصول اليها بأي ثمن .. ليلقي بنفسه في الهور مستحماً ، كيما يخرج من هناك الى القرنة فشط العرب فالخليج ..

ذاك الفرات العاتي شكل مجرى جديداً ، حتى ترك مساحة من الارض ( ثلاثة كيلومترات شاسعة ) مبتعدا عن ضفافه الاولى . لذا توقف « صدر اليوسفية » عن العطاء ، جف تماما ، ولم تعد في مجاريه سوى مياه ( النزيز ) ، وكان الطمي يجثم فوق الصدر ، ولم يكن بالمستطاع ايصال الماء لترطيب الصدر الجاف ( سيحاً ) فنصبت المضخات الضخمة على رفاة الصدر القديم ، وعلى ضفاف الفرات المتعب !

... ... ...

وقف « **سليم عبد حمادي** » ( رئيس جمعية القدس ) يشير بأصابعه الحادة الخشنة الى

الجزيرة التي خلفها انحسار الفرات أثر تغييره مجراه القديم ••
تقترب الكاميرا من وجه سليم •• يتحدث : « طلبت ١٠٠ طن من بـــذور البطاطا لأزرعها »

صمت •••

يستطرد سليم «لكنني لم أزرع شيئا ! »

صمت •••

ثم يستطرد سليم : « لان الفرات سجين الذين حبسوه ظلماً ! »

★ **لقطة عريضة :**

الفرات يجري بعيدا ، نحيلا ، ضائعا ، كأنه يخجل ملاقاة « صدر اليوسفية » المثكل ، المعطش ، وكأنه يتحرج لقاء أحبة الماضي !

★ **لقطة قريبة :**

قافلة مهاجرة لعائلة فلاحية تناثرت قطع الاقمشة والفراش على عربة تجرها ساحبة زراعية ، يبدو الفلاح ـ قائد العربة ـ متعباً ، والعرق يتفصد من وجهـه الأسمر الكئيب •

« لم يعد الفرات غنياً » قال ذلك بحسرة •• ومضت القافلة يركض خلفها الاطفال وعلى امتداد النهر كان الحزن يركض مع الشمس الملتهبة •

★ **زوم :**

عشر مضخات اتكأت بتناسق أخاذ على فخذ ترابي ، تبدو صامتة ورهبية تنتظر اليوم الذي يتدفق فيه الفرات معافى !

**قال مساح الري :** « وضعنا هذه المضخات على صدر المشروع القديم لنمين صـــدر المشروع الجديد ، فالقديم لا تصله المياه الا ضخاً ! »

★ **وينسل النهر :**

في « **بزيبز** » أفترشت أرض النهر المنسل ( كان ) الفرات بهياً ـ أيام الرواء ـ وكانت جبهته العريضة تشع بالنور المائي اليقظ ، كل الارض المفروشة أمامنا ( كانت ) من أصل مجرى النهر ، و ( كان ) الفرات كريماً ـ أيامئذ ـ يسير عليها ويتطيها بفيضه ، يداعب، خلاياها بود ، ويشبعها رواء .

ثلاثة كيلومترات هي الان ـ وبعد شحة المياه ـ أشواكا واسباخا وكان الفرات ـ هنا ـ متصلا باليوسفية ( الصدر القديم ) يسحه بركة الماء ، فتمتلىء الاثداء المعطاء لتصب ( سيحا ) الى افواه المزارع المطشى ..

الصورة ، تبدلت الان ، فالفرات ينسل بعيدا ويترك ضفافاً رملية تصلح « بلاجا » مجانيا لاطفال فقراء الريف !

★ **شهادة :**

**اسمي : مهدي داود**

**مهنتي :** سائق ماكنة النصراني ( بمضختين قوة ٤٢ و٤٧ حصانا )

**واقع الحال :** مددنا ٤٠٠ قدم من الانابيب الصلب قطر الواحد منها (١٤) بوصة ، كلفتنا ١٤٠٠ دينار ، استأجرنا حفارا كبيرا ، حفر لنا مجرى طويلا لايصال الماء . مددنا الانابيب . وصل الماء بعد ان عشنا شهرا بلا ماء !

★ **تعليق :**

« وفقراء الريف ، هل يستطيعون سحب مياه الفرات بهذه الكلفة العالية ؟ » علق فلاح أجير في مزرعة النصراني !

★ المسـيرة :

ومضينا بحزن ، تتأمل الفرات الذي يسافر بعيدا منسلا بين الضفاف المنخفضة ، وعلى صدر اليوسفية الجديد ( بني الناظم عام ١٩٧٢ ) ليحول الماء من الفرات الى ناحية اليوسفية ، كانت حفارة نهرية كبيرة تمد انابيبها الى الضفاف على « طوافات » خاصة لتنقذ صدر اليوسفية الجديد من الطمي المتجمع دوما في مقدم الجدول .

ويمضي مع انحدار النهر .. بثقل الكآبة المرة التي تطوق الفرات الذي كان سيلا عظيماً مدمراً ، فسلبوا منه العافية والفحولة ، ولم يعد الا مسلا كئيبـا كمن يمشي أسيراً وسط الحقول العطشى ..



**★ بابل .. النهر كما السبايا !**

بابل .. يأتيك النهر مسبياً ..
بابل .. يشهد حمورابي كم عظيمة قيمة النهر ، مجراه ، حوضه ، خصبه ، ريه ..
بابل .. هل ينحرف الفرات ؟ أم انحرف الفرات ؟
[ كان الفرات مصدر ازدهار واحدة من عجائب الدنيا حين صعد الماء الى ذرى الجنائن المعلقة ! ]
ـ الآن ...؟
الماء يشح ، يشح ، حتى ليوشك ان يتلاشى ، يتبخر ، قبل أن يصل جدولا صغيرا من جداوله الكثار .. فهل يصعد طوابق الجنائن بعكازتين ؟
يمضي النهر ، ونمضي معه ، حزانى كذرات الرمل ، حزانى كقطرات الماء ، معلقة في هدب الظهيرة الجحيمية .
وعلى « **جسر المسيب** » تتذكر الاغاني [ **سيبوني !** ]
وهل ساب النهر ، أم شاب ، أم تذكر حكاية العشاق وبكى ! يا فرات الحكايات الملونة ايها النبيل الرائع ، انك لتبخل الان حتى في قليل من الكلام ، بله الأغنيات التي تصل بها حد الصخب والضجيج لفيضاناتك وطوفانك ..
نمر على أحجار بابل وتتذكر كل الكتابات التي حفرتها أيدي الرجال على الرقيمات البابلية ، تتذكر المعنى الكبير الــذي منحت ، اللقب الكبــير ، والشــرف الكبير :
« **خالق كل شيء** »
ونمر لنبحث في آثار « لجش » عن « **السد القاطس** » ونحفر التأريخ في اذهاننا ( منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ) :

« **ايا ناتم** »
« **انتيمينا** »
« **حمورابي** »

كلكم شهود ، حتى وان وقف أحفاد الأحفاد ..
كلكم شهود ، هل يبخل الفرات بالماء ؟!

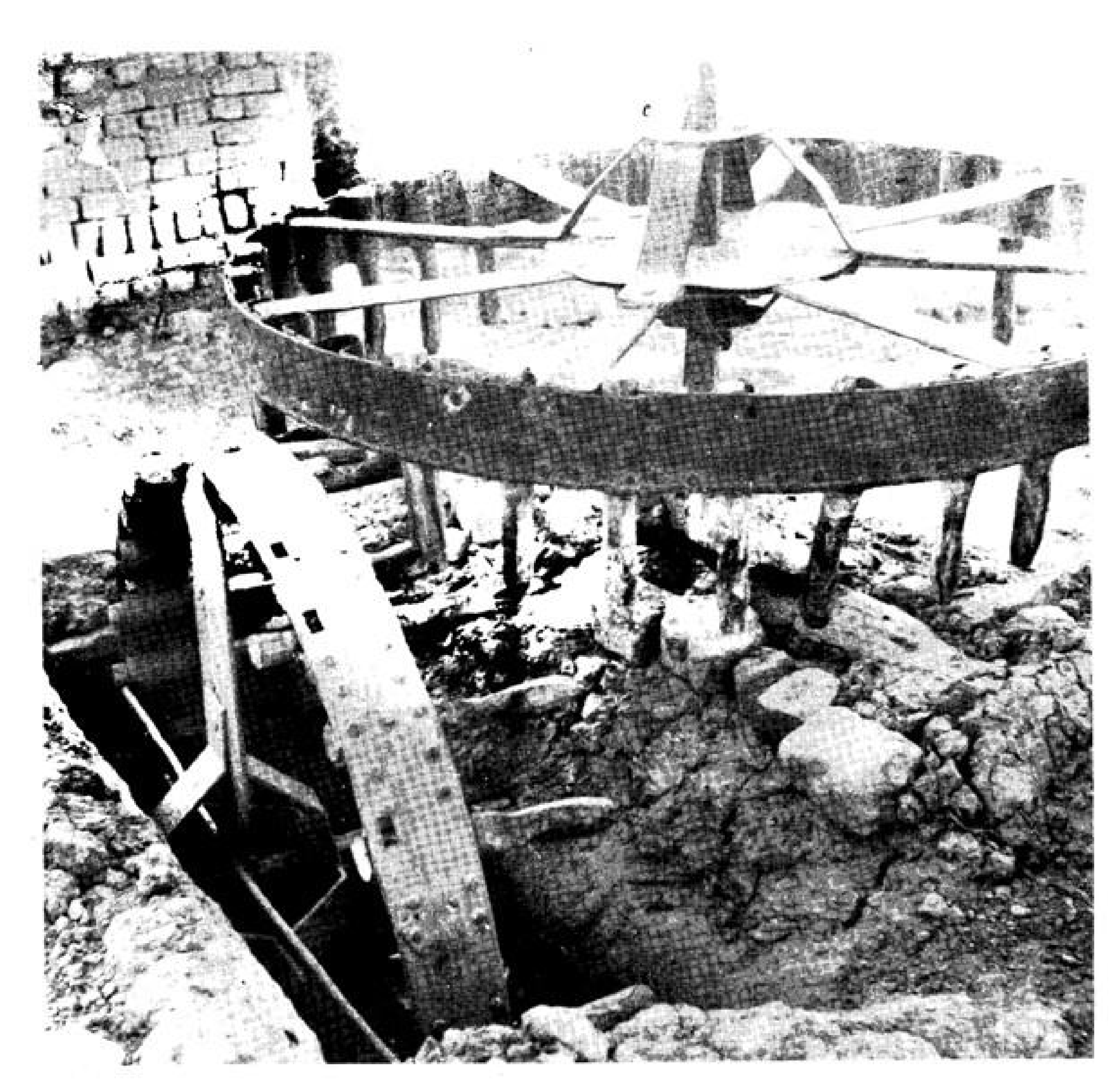
★ **ترجيع لصوت من التاريخ :**

**لن يبخل الفرات بالماء**
**هو خالق كل شيء**
**هو الذي طغى**
**طوفانه طهر المدائن**
**وماؤه منحنا الخصب والرواء**
**لن يبخل الفرات بالماء**
**لن يبخل الفرات .**

★ **الطريق الى النهر :**

تقع **الحلة** في صدر المنطقة ، اذ يتفرع شط الحلة من مقدم سدة الهندية [ تقارب مساحته الاروائية المليوني دونم تتخللها البساتين والاراضي الزراعية الخصبة ] وشط الحلة يمر بثلاث محافظات وتعيش عليه مدن مثل قصبة الحلة وقصبة الشامية والسنية والديوانية والرميثة ومن شط الحلة تتفرع أنهر عدة ذات نفع عام ( تسقي الاراضي الزراعية عموما ) وذات نفع خاص ( الانهر الصغيرة التي تسقي الملكيات الخاصة ) والانهر ذات النفع العام ضمن محافظة بابل - يقول السيد سليم عباس مهندس الري في بابل - « تربو على ٦٠ نهرا وتتيجة انخفاض مناسيب نهر الفرات بسبب حبسه أو شحته تم نصب مضخات ضخ على صدور الانهر الكبيرة من قبل الدولة [ ١٦ محطة ضخ ، القوة الحصانية لكل مضخة ١٢٠ حصانا تعطي تصريفا قدره ٧ر٠ م$^3$/ثا من الماء ] .

أما الأنهر الصغيرة التي « يمتلكها » المزارعون [ ذات النفع الخاص ] فقد تم نصب العديد من المضخات الأهلية عليها ، كما تمت عمليات تطهير جميع الأنهر [ والتطهير مستمر بالمكائن والحفارات الحكومية ] **[ قال سليم عباس ]**



النواعير البابلية : تضاد وتقابل وصمت !

**★ صدق المعاناة :**

ـ نهرا الكفل وبني حسن يرويان أراضي قضاء الهندية وناحيـــة الكفل [ تضررت الاراضي الزراعية في حوض هذين النهرين أكثر من الحلة نفسها ] •

ـ كان تجهيز الجداول مستمرا ، ونتيجة الشحة أصبح التجهيز بالتناوب [ أربعة أيام ( فتح الماء ) و ٧ أيام ( غلق الماء ) ] في السابق كان التجهيز يوميا [ ٢٤ ساعة ]

ـ **تقلصت الزراعة**

ـ **تصاعدت** نســبة **الهجرة** الفلاحية

ـ **ردود الفعل النفسية** لدى الفلاحين ، **سلبية ••** [ تركتها شحة المياه ] لغـة باردة •• اليس كذلك ؟! لكنها صادقة ، صدق المعاناة يتجسد في المعنى ، في حجـم الألم : « تقلصت الزراعة » « تصاعدت الهجرة » كلمات علمية باردة ، ازيحوا عنها الغطاء ، عروها من جلدها العلمي سترون حجم المعاناة ••

هذه حالة •• ، وهناك حالات •• فالحلة ( بابل ) عريضة ، وبابل ( الحلة ) شامخة ، مع ذلك !

**★ شهادات فلاحية :**

* ـ الشهادة الأولى **( مهدي السلمان** ـ فلاح من **الهاشمية ) :**

« الهاشمية كانت تزرع ١٠٠ ألف دونم ، انخفضت المزروعات فلم تزرع سوى ٤٠٪ ، وهذه الاربعون بالمائة أصابها الضرر بنسبة ٨٠٪ نتيجة شحة المياه وقلة السقيات **وعدم هطول المطر !••**

ـ الحنطة ، الشعير ، الباقلاء ، السمسم ، الماش ، المخضرات :

كنا نصدرها والآن لا تسد حاجتنا ••

تضرر الفلاحون ضررا بليغا [ **الطليعة ، القاسم ، المدحتية ، الشوملي** ] أكثر النواحي ضررا !



الاخرار ٨٠٪ في الهاشمية

( مهدي السلمان ـ هاشمية ـ بابل )



الطليعة ماتت فاذكروها

( دوهان ناصر ـ الطليعة ـ بابل )

* ـ الشهادة الثانية **( دوهان الناصر ـ** فلاح من ناحية **الطليعة ) :**

« في الطليعة بذر اكثر الفلاحين ، لكن البذور ظلت نائمة في الارض المحروثة ، لم تنم ، لا ماء فرات •• ولا ماء مطر ! »

* ـ الشهادة الثالثة **( الطليعة تدلي بشهادتها ) :**

« أنا ناحية الطليعة أضم ٢٨ قرية ، يعيش في أرضي **٨٩٤٥** نسمة ( حسب احصاء **١٩٧١** ) توالد وتكاثر تحت ظلال النخيل ، الفتيـة والفتيات ، فتزايد عـدد الأيدي العاملة الزراعية ، ونمت محاصيلي • »

كنت أحب الفرات ، وكان يحبني ، أسقيه حبا فيسقيني ماء عذبا ، حتى •• قطعوا عليه سبيل الحب وصلة القربى ، فظلت عشر قرى تشكل جانبي الأيمن مشلولة ( بلا ماء ) : « الضابطية ، الرحمانية ، الخليل ، المكاوية — قريتان — الوعواعة ، المغيطي ، آل مشارة ، آل مطر ، الجربوعية ، [ الأضرار ٧٠٪ ]

صحيح أن جانبي الأيسر تضررت ( بزايزه ) فقط [ بنسبة ١٠ — ١٥٪ ] لكن الماء لم يصل الى أهلي وعوائل فلاحيي الا بالعربات الحوضية كان التنكر الواحد ينقل ١٠ وجبات يوميا ( وهناك تنكران )

— كشفوا على مزارع أكثر من ألف فلاح تضرر نتيجة حبس ميـــاه الفرات وثبتوا الاضرار في محاضر جلسات رفعت الى المجلس الزراعي الأعلى

— حفروا حوالي ١٦ بئرا •• كل الماء كان مالحا ••

— حتى الكلاب اصيبت بالعمى نتيجة العطش ، كذلك ماتت حمـــير كثيرة ومواشي أخرى !

تذكروا اسمي ايها الضمائريون اليقظون على مدى انقطاع ماء الفرات وشحته ، كنت اعاني ولا زلت ••

تذكروا اسمي ايها الانسانيون في كل مكان •• على مدى الازمة كانت أزمتي تكبر :

مرض الاطفال ، يبست الثمار ، ماتت الاشجار
وعميت كلاب الحراسة والحمير !
كل شيء اصيب بالموت المقسط البطيء !
تذكروا اسمي ايها الطليعيون في كل الدنيا
وتقبلوا حبي رغم المعاناة

التوقيع : ناحية الطليعة

★ **يقول الانوائيون :**

« يسمى الذين حبسوا ماء الفرات الى اعطاء مقننات مائية قليلة بعد حزيران وقبل تشرين ، والسبب كون هذه الفترة تقع بين الموسمين وتنعدم فيها الامطار ! »

★ **جغرافيا المطر :**

« تصل الامطار في منابع نهر الفرات في تركيا الى (١٠٠٠) ( ألف ملم سنويا ) وينخفض المعدل السنوي كلما اتجهنا جنوبا حيث الحدود السورية التي يصل متوسط المطر السنوي فيها الى (٣٠٠) ملم ويتراوح المتوسط السنوي للامطار في سوريا بين (٣٠٠) ملم عند الحدود التركية و (١٠٠) ملم عند الحدود العراقية وتتذبذب الكميات المتساقطة في العراق بين المائة ، تقل وتكثر قليلا !

**( اكرر : ١٠٠ ملم عند الحدود العراقية وتتذبذب الكميات المتساقطة في العراق )**

من ثم نجد ان الامطار في منطقة حوض نهر الفرات متقلبة فهي منعدمة خلال خمسة أشهر ( من حزيران حتى تشرين الأول ) وتشكل الامطار المتساقطة على جبال منبع الفرات في تركيا ثلوجا تبقى خلال فصل الشتاء حتى ما قبل نيسان حيث تذوب وتصبح مصدرا مهما لفيضان نهر الفرات .

**( اكرر : الامطار .. منعدمة خلال خمسة اشهر من حزيران حتى تشرين الاول )**

ـ طيب : هل تلاحظون جغرافيا المطر وشهادة الانوائيين ؟!

ـ اذن حين يقطع ماء الفرات بعد حزيران وقبل تشرين ، فمعنى ذلك ان الزرع يموت ، لأن المطر : « لا شيء ! » .. والماء الارضي : « لا شيء ! » .. من هنا يشكو الفلاحون الماء السماوي والماء الأرضي معا ..

ومن هنا ، تصاب الهاشمية والطليعة والكفل والشوملي وغيرها بموت المحاصيل !

★ **نداء :**

**تذكروا الطليعة !**

١

★ **شهادة للتحدي :**

ف : قرية الحسينية ( ٢٠ بيتا كل بيت كان يضم من ٧ ـ ٨ أفراد كمعدل )
كان كل بيت يمتلىء بالضجيج ، وكانت « تنانير » الخبز ونار المضايف تزهو بدلال القهوة ، تزهو بالكرم العربي وبحكايات البطولة ..
( كانت ) ..
لكنها الآن حزينة ومتوحدة ..
( كان ) الماء يجري عذبا ، يملأ الأرض بالفرح ، كانت الأرض تكتظ بالشلب ، تغرق بالماء .. ( كانت ) هذه الارض [ وتذكروا الاسم : قرية الحسينية / ناحية الطليعة / قضاء الهاشمية ]
( كانت ) هذه الأرض من أفضل أراضي الهاشمية
« خيط ملح ما بيها » ـ يؤكد أبو غانم ـ دوهان الناصر ـ « الآن هجرها الناس ، كان العطش أقوى من تشبثهم بالارض ، حياة الناس مرتبطة بالماء ، جفت حتى الآبار التي حفروها بالأظافر .. »

★ **اغنية منديل دحام الازلية :**

« حفرنا خمسة آبار .. لم يظهر بها الماء ، والتي نزت ماء كان مالحا »
« شالت الوادم كلها .. مشوا للسوق »
« اذا ماكو ماي شنو ظلتهم .. »
« هاي لي ثالث سنة هنا .. مابنا واخذوه ، گاعنا ما يگدرون يأخذوها مني .. »
« وين ما طاحت ناخذ جلالها »
« وقلت يا منديل .. تموت بهذا المكان ، هاذه هو .. »
« أذكر الأنگريز لمن أجوه سنة عشرين جنت أسرح بالنعجات ! »

**منديل دحام** الرجل الوحيد الذي تشبث بأرضه ، كل البيوت من حوله مهجورة في قرية الحسينية .. ظل منديل يحفر البئر الأولى ، وقفنا نتأمل البئر الاولى عميقة كانت ، وأطول من قامة رجل ، ارتفاعا ، .. أرض يابسة ، القاع ينتشر فيه بقايا جذور النخيل والاشجار التي كانت .

الرجل الوحيد الذي عاود الكرة ، حفر بئرا ثانية ، ظل يحفر باصابعه ، ينحت للصمود حكاية نبيلة وأغنية متفردة الأداء ،

**ومنديل دحام** ذاق الماء فكان مالحا !

وعاد يحفر .. كانت البئر الثالثة بعيدة عن كوخه المتهالك ، وكانت الأرض تكوي من شدة الحر ، وضع كوفيته على رأسه ، أدار نهاياتها على حدود وجهه ، وانحنى على الارض ، بالاظافر حفر ، وبالاظافر وصل القاع السفلي ، .. وغدرت به البئر الثالثة ، لم تنز حتى ماء مالحا !

توقف **منديل دحام** ، نظر الى السماء ، كانت الشمس رهيبة القسوة وسالت قطرات العرق المالح من جبينه حتى رطبت شفتيه ، ابتسم : « امطري عرقا ! » كان يريد من الشمس ان تمطر ماء ! ومن الارض ان تفيض بالينابيع ، ولكن منديل دحام لم يذق طعم الماء ، وبقدمين حافيتين ظل منديل دحام يقيس المسافة : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة .. ووضع حدا ، وحفر البئر الرابعة .

.. لم ييأس منديل دحام حتى وهو يحفر البئر الخامسة ، ولم ييأس حتى وهي تظهر جافة كشقيقاتها الظماء ..

منديل دحام ركن الى زوجته : « ام الويلاد .. اسمعي .. احنا مو مال هجره .. الگاع الي حبتنا وحبيناها عمر ، ما نحسن نهجرها .. كلشي ولا الگاع .. شوفي ام حسن ، أحنه نحفر ووين ما طاحت ناخذ جلالها .. هنا نموت وما نغادر الگاع .. صار معلوم .. »



وهزت رأسها موافقة ..

وهز يده ، كان وداعه حارا ( ومنديل دحام رغم العوز الذي يعيش والعطش والحفاف أصر ان يضيفنا : « شلون تروحون بهالحر .. گعدو شربوا استكانة جاي ، شوية ..



احجوا حجايه لا تگولون منديل بخيل .. أوبلي أذبح الكم أولادي .. »
كان متشبثا بنا ، كما هو متشبث بالأرض .. وحين غادرنا المكان لم يغادر منديل دحام
قلوبنا وظلت كلماته الشجاعة اغنية أزلية للصمود .

★ **والشباك خالية ايضا !**

**المكان :** مشروع ري سدة الهندية ( ناظم شط الحلة )

**الزمان :** ١-٩-١٩٧٥

**الحالة :** كان السماكون يرفعـــون أذيال دشاديشهم ويعلقونها في حزام الوسط ، يمسكون شباك الصيد ، ينسقون كرات الرصاص المشدودة بالخيوط البيض ، ينثرون الشباك على أصابع اليد ، حتى الاسنان تسهم في ايقاع الشباك : لحظة ، اثنتان ، ثلاثة ، يتوازن جسم الرجل ترتفع الايدي وتلقي بالشباك الى النهر ، كان الماء منخفضا يجري من خلف السدة ببطء ، ينتظر الصيادون ثم يسحبون الشباك ، خالية **تقطر ماء** أ.. كئيبا !

- **عبدالحسين عبد عون ( ٤٠ سنة )**
- **قاسم ايدام ( ٥٠ سنة )**
- **جاسم معارج ( ٣٥ سنة )**

ـ ... وعلى رصيف الناظم وقف آخرون ، وعلى الضـــفة الاخرى وقف آخرون ، ونحن نتأمل المنظر يتكرر كل دقيقة أمامنا ، تلقى الشباك وتخرج خاليـة تمـاما ..

امرأة ، كانت « تلوب » ، تدور حول الرجال الصيادين ولم تستطع كتمان ضجرها : « كان السمك مطشوشا على الارض ، نجيء ، وننتقي ونشتري ونذهب ، هذه الايام لا تخرج سمكة واحدة طوال النهار ماذا جرى للصيد وللشط وللرجال ؟! »

ويتنهـــد **فاضل شاكر (١٩٢٧)** بحزن : هل سمعت هذه المرأة ، انها تعبر عن واقع حالنا تماما .. هذه الايام انخفض الماء كثيرا ، كانت الاسماك تأتي في رأس الشباك لأن الماء عالي ، اما الآن فالماء كأنه النزيز : ازرق ومنخفض ، كان الماء خابطا وقويا .. عشرون سنة وانا اعمل سماكا ، سكنا في السدة وتعلمنا صيد الاسماك كان السمك



قتلوا حتى الاسماك .
فاضل شاكر ( صدة الهندية )

كثيرا ، حين ينقص الماء في كل مكان يقتل السمك مبكرا

« لو أكو ماي يجي السمج بوجهه »

كنت أصيد من ٨٠ ـ ١٠٠ كيلوغراما من السمك يوميا ، كل سماك كان يصيد بهذا القدر وأكثر .. منذ ثلاثة أشهر نصبت شباكي : لا صيد ، لا اسماك ، ولا هم يحزنون !

« كل شهر سمجه ، هم مايخالف بس نريد ناكل ، هسه ماكو سمج تماما .. »

وفي وسط النهر كانت الشباك الملقاة تشكل احواضا مؤطرة لا يبدو منها سوى الفلين العائم على سطح الشط ، هذه الشباك الحوضية تبقى من ٣٠ الى ٣٦ ساعة في النهر كيما يتجمع فيها السمك العائد من أعالي الفرات !

لكن حتى هذا الجهد الطويل النفس ، يضيع بعد الساعات الست والثلاثين ، فالأسماك تموت مبكرا ، أو تقتل في أول الطريق !

★ **سدة الهندية : حجر مالي !**

قال مهندس الري السيد **علي عبدالحسين الخالدي** :

« اعذروني .. كان بودي ان أضيفكم على سمك السدة ، أنتم تعرفون شهرته ، لكن لا أسماك في النهر هذه الايام ، مع انه موسمها وانتم على عجل ومشواركم طويل ، ولا تستطيعون انتظار الذي يأتي ولا يأتي ! »

ضحكنا بمرارة .. واسترجعنا حديثه التفصيلي عن سـدة الهندية ومأساة النهر :

**سدة الهندية** تشكل نقطة سيطرة لتوزيع المياه على الفرات بين الجداول والأنهر في مقدم السد ( **شط الحلة ، الكفل ، نهر ... الحسينية القديمة والجديدة ، ومشروع المسيب الكبير** ، وجـدول **الناصرية** ) ويمتد توفيرها حتى جدول الاسكندرية .

يتم تنظيم المياه بين كل هذه الجداول التي في مقدم السدة وبين شط الهندية ، والمحافظات التي تستفيد من هذه السدة هي بابل وكربلاء والقادسية والمثنى وذي قار ..

فالمرء يستطيع ان يقدر كم هي الاراضي الزراعية ومساحاتها الواسعة التي تعتاش على نهر الفرات لا سيما من الجداول التي في مقدم السدة ..

ان الفرات مر بظروف عصيبة واستثنائية ، فالمسألة الاروائية جابهتنا بشكل مفاجيء لم يعتد عليه الفرات ، ولم يعتد الفرات ان يرى شحة مماثلة لسنوات طويلة خلت ، ففي الظروف الطبيعية كنا ـ يستمر مهندس الري ـ نوزع المياه بين جداول مقدم السدة لأعمال اروائية وبين مؤخر السدة لاعمال زراعية ، ولا سيما زراعة الشلب في المحافظات الجنوبية ..

ـ بلغت تصاريف المياه أيام الشحة ٢٥٠م٣/ثا بيد أنه في الظروف الطبيعية فأن أقل ما يمكن تأمينه للأرواء في مجموع السدة وفي مؤخرها حوالي ٥٥٠م٣/ثا ..

من هذين الرقمين يستطيع الانسان ان يقارن مدى ما عانينا من صعوبة بالغة في عملية توزيع هذه المياه القليلة بين كل الجداول والأنهر .. لذا فهناك جداول لم تصلها

المياه ( في بزايزها ) فمثلا بزايز جدول الاسكندرية عانى من شحة المياه في الموسمين الصيفي والشتوي ، وتركت الكثير من الاراضي دون زراعة ، وحتى الموسم الصيفي الحالي ، •• كذلك جدول الناصرية وجدول الرويعية •• الخ •

ـ كثيرا ما يراجعنا المزارعون وهم يشكون : **نريد الماء** •

تسألهم : هل عندكم ماء للشرب ؟

فان قالوا : « نعم » •• نقول لهم « هذا يكفي » وذلك بسبب شحة ماء الارواء للاغراض الزراعية ، في حين ان من مهامنا توفير مياه الزراعة لهم ، لكن منسوب الفرات انخفض كثيرا بسبب حبسه فلم يعد الماء يكفي [illegible] حاجة البشر •

[ **ملاحظة :** لقد تمت نفس الاجراءات لايصال الماء : تطهير الانهر ، نصب المضخات، حملات العمل الشعبي لحفر الآبار ، توزيع ماء الشرب بالسيارات الحوضية •• الخ ]

ونظر الى سدة الهندية بعيون شاخصة ونبحث عن الماء الذي كان يغطي الضفاف فنراه شحيحا ، وقد ظهرت على وضوح النظر ، جزرة رملية •• نطرق برؤوسنا •• ونمشي !

**★ المشروع الذي كان :**

يقول المؤرخون المائيون والسياسيون :

« حاولت الامبراطورية العثمانية في أواخر أيامها اصلاح أوضاع الفرات فأوفدت السير وليم ويلكوكس عام ١٩٠٨ فوضع تقريره الشهير عام ١٩١١ لأحياء مشروعات الري القديمة ، وبدأت ( بالفعل ) بعض تلك المشروعات وانتهت ببناء ( قناطر ) سدة الهندية ، لكن الحرب العالمية الأولى حالت دون تنفيذ بقية المشروع •• »

**★ ونمشي مع النهر :**

يتفرع الفرات الى شط الهندية وشط الحلة ، اما شط الهندية فيقع جنوب المسيب على مسافة (٨) كيلومترات ـ يقول وصف رحلة جيزني ووصف الطبيعة الفراتية ـ يجري



تزاحم على ماء الشرب مع المواشي !
( السماوة – الديوانية .. وكل مدن الفرات )



ونمشي مع النهر .. نهاجر ..

الشط جنوبا الى طويريج الواقعة على ضفته اليمنى ، وفي جنوبها تتشعب عدة جداول على ضفتيه فيترك الشط الكفل عن يساره والكوفة وأبي صخير عن يمينه وفي جنوب الكفل بالقرب من العباسية يفترق شط الشامية يسارا ويجتاز الأهوار والمستنقعات ويلتقي بشط الهندية في شمال الشنافية ، وبعد الملتقى بثمانية كيلومترات تصبح الشنافية عن يساره ، ثم يلتقي بشط العطشان و يلتقي بشط الحلة في غرب السماوة وفيها ينتهي شط الهندية ..

تكثر المستنقعات والاهوار على جانبي الهندية ، وهناك جدول الحسينية الذي يمر بمدينة كربلاء ويأخذ الماء من الهندية ويطلق على شط الهندية في أبي صخير اسم « المشخاب » .

**★ شط الحلة :**

يجري هذا النهر بعد سدة الهندية بالاتجاه الجنوبي الشرقي مارا بمديني الحلة والديوانية الواقعتين على جانبيه ، ويتفرع من هذا الشط نهر الدغارة في شمال الديوانية ( القادسية ) ، وهو جدول يصل النهر بهور عفك ويجري شرقا ..

وبعد ان يترك الفرات السماوة الواقعة على ضفتيه يجري في الجهة الجنوبية الشرقية ويترك الناصرية على يساره وسوق الشيوخ على يمينه ثم ينعطف نحو الشرق ويمر بهور الحمار والجبايش ويلتقي بدجلة في جنوب القرنة ..

طوينا خارطتنا .. كنا نؤشر بالحبر الأزرق على مجرى النهر ، ونحن ننحدر معه من مدينة الى أخرى ، من مقدم النهر حتى ذنائبه وبزايز جداوله .. من صدر النهر حتى عمق المأساة ..

وضعنا نقطة زرقاء في هور الحمار .. وقلنا للفرات وداعا ، وعدنا ...

... ... ... ...

لا .. ايها الاصدقاء .. لم تنته رحلتنا بعد .. فالمشوار طويل وكربلاء الحزن ،

وسماوه النخيل وديوانية الشلب وناصرية الاسماك .. مدن الحزن الاعظم ، بعد بابل ...

ولننجز المشوار

| الموقع | المساحة العمومية ( بالدونم ) | التصريف التصميمي بالمتر المكعب/ثانية | التصريف الفعلى (م³/ثا) |
|---|---|---|---|
| الكفل | ١٧٦٧٣٠ | ٢٤٫٥م³/ثا | ١٧ – ١٨م³/ثا |
| شط الحلة | ٢٢٣٨٥٤٧ | ٢٥٠ | ٩٥ – ١٧٠ |
| الناصريه | ١٣٤٢٠ | ١٫٥ | ٠٫٥ – ٠٫٧٥ |
| المسيب | ٣٣٤٧٨٠ | ٤٠ | ٣٠ – ٣٢ |
| الاسكندرية | ٦١٧٥٠ | ٦ | ٣ |
| جدول بني حسن | ١٣٩٦٠٠ | ١٧٫٥ | ١٢ – ١٤ |
| جدولا الحسينية القديم والحديث | ١٩٠٠٩٠ | ١٨٫٥ | ١٣م |
| جدول الرويعية | ٢٠٠٠٠ | ٢ | انقطع عنه الماء |

حوض الفرات ضمن المنطقة ٩٠٠٠٠ [ بين الفلوجة/المسيب ] اعتمد على كمية المياه الموجودة في الحوض [ ضحا ]

* لاحظوا الفارق الكبير بين الحاجة الفعلية ( التصريف التصميمي ) وبين الوارد الفعلي ( بعد الشحة )

* بسبب نقص الكمية الواردة الى الفرات من المياه أصبحت الأنهر الفرعية والجداول والقنوات معطلة .

- الصقلاوية : يروي المشروع (٢٠٢) ألف و (٧٤٧) دونمـــا مصمم لتصـــريف ٣٨ر٢٠م$^{٣}$/ثا يصيبه الآن ٥ر٥م$^{٣}$/ثا ( ربع الكمية )
- أبوغريب : كان تصريفه ٩٦ر٢٢م$^{٣}$/ثا يصيبه الآن ١ر٢م$^{٣}$/ثا
- اليوسفية : كان تصريفه ٢٥م$^{٣}$/ثا يصيبه الآن ١ر٤م$^{٣}$/ثا
- المسيب الكبير : كان تصريفه ٣٨ر٣٣م$^{٣}$/ثا يصيبه الآن ٥ر١٠م$^{٣}$/ثا

* الارقام التالية توضح مدى استئثار سوريا بأكثر من نصف الحصة من المياه الداخلة الى أراضيها عبر ( بيره جك ) وفي أغلب الحالات تستأثر بثلثي الحصة كما هو واضح في الجدول ، مع ان حاجة سوريا لا تعادل (٢٥٪) من حاجة العراق للمياه كما قدرها البنك الدولي والخبراء السوفيت :

| التاريخ | بيره جك/الحدود التركية السورية | | حصيبة/الحدود العراقية السورية |
|---|---|---|---|
| ٧٥/٣/٢٦ | ٨٧٣ | | ٢٢٠ |
| ٧٥/٣/٢٧ | ٨٩٥ | | ٢٢٧ |
| ٧٥/٣/٢٨ | ٨٦٤ | | ٢٣٤ |
| ٧٥/٣/٢٩ | ٧٤٤ | | ٢٥١ |
| ٧٥/٣/٣٠ | ٦٨٧ | | ٢٤٣ |
| ٦٥/٤/١ | ٦١٥ | [ لاحظوا ان نيسان موسم الفيضانات عادة ] | ٢٥٨ |
| ٧٥/٤/٢ | ٥٢٧ | | ٢٤١ |
| ٧٥/٤/٣ | ٧٣٨ | | ٢٦٢ |
| ٧٥/٤/٤ | ٩٠٢ | | ٢٦٩ |
| ٧٥/٤/٥ | ٩٠٨ | | ٢٧٠ |
| ٧٥/٤/٦ | ٨٨٣ | | ٢٦٢ |
| ٧٥/٤/٧ | ٩١٤ | | ٢٧٠ |
| ٧٥/٤/٨ | ٨٠٧ | | ٢٥٧ |
| ٧٥/٤/٩ | ٦٣٢ | | ٢٢٣ |
| ٧٥/٤/١٠ | ٦٣٧ | | ٢٤٧ |
| ٧٥/٤/١١ | ٦٥٠ | | ٢٣٥ |
| ٧٥/٤/١٢ | ؟ | | ٢٣٧ |
| ٧٥/٤/١٣ | ؟ | | ٢٢٧ |

* يلاحظ ان سوريا تقلص كميات المياه المصرفة لنا وحين نصل الى شهر آب نرى المأساة واضحة في أكثر من مكان [ من المعلوم ان حاجة سوريا من الماء تساوي ٢٥٪ من الحاجة العراقية له .. ] بمعنى ان الارقام التي تصلنا يجب ان تكون أربعة أضعاف سوريا لا أقل منها .

* كما يلاحظ ان سوريا لا تعلن عن رقم كمية المياه التي تدخل حدودها من تركيا ، ابتداء من ٧٥/٤/١٢ فما فوق !



★ افتتاحية للحزن الكربلائي :

كان النهر طفلا مدللا .
وكنا تناغيه ونسامره ، نرش الحكايا والأغاني على منافير نوارسه ، ونمضي معه ، عميقا في زرقته وأسفاره .
كان النهر طفلا حبيبا ، خذلوه حين كبر !
خذل طعم الرطب حتى بات الحزن معتقا ونبيلا .
خذل لون الرطب ، فبات مرشوشا بالملح وعرق الرجال والعطش ! .
والفرح الطفولي ، ظل حائرا يطفو على أديم الذكريات .
حين غنى النوتي مرة ، أتعابه وسر الماء أجاد التطريز على القلب . ولأن العمر ، يأتي مرة واحدة ، كان غناء النوتي ذكيا ، وكانت شـرفات الذاكرة تنفتح كالنوار .. تأتي مع أريج الحكايات النهرية وطعم الرطب المرشوش بالملح والحزن الجنوبي المعتق !
قال فلاح صامد كنخلة فارعة :
« مهما تباعدت الأمواج لابد ان تكسر على الشاطيء » كانت حكمة النهـر والعمر والحياة .
ومهما ابتعد الفرات عنا .. لابد أن يعود للأهل والاحبة معافى .
كان الفرات طيبا ، متآخيا مع النخل وعثوق الرطب . لكنه . يحمـل حزنه الجديد مثقلا بوزر التاريخ البعيد .
لقد أصاب « الفرات » كربلا ، مرة بالظمأ .. فهل يعيد الكرة ثانية ؟!
كربلاء الطف والفرات الدامي ، وكوفة علي والمتنبي حملت راية الشـهادة ثانية ...

★ الزمن : العصر الراهن ، الربع الأخير من القرن العشرين ، العام الخامس والسبعون بعد المئات التسع والألف .

★ **والزمن** : يحصي دموع النخيل التي جفت ، والعتوق التي يبست ، والفاكهة التي تشققت من العطش •• وطعم الرطب المرشوش بالملح !

« غابات الكمالية ، ضحينا بها ••• من أجل بساتين الحسينية ونخيل كربلاء •• مرة واحدة تعيش النخلة عمرها •• وحين تموت ، تحتاج الى ربع قرن آخر كي تثمر أو لا تثمر النواة التي تزرع الآن ••

« **الحسينية** » تموت ان لم تسق وترو دوما ••

قال السيد الحبوبي ـ بألم ـ وحين يتحدث محافظ كربلاء هكذا ، فأي حزن يعم الفرات ؟!

« ضحينا بغابات الكمالية [ ٢٠ ألف دونم زرعنا منها ٤ آلاف دونم نسبة الضرر كبيرة ، ماتت أكثر الاشجار ! ] •• الغابات الصناعية داريناها ، كحدقات العيون ، عملنا لها مصدات ضد الريح ، عدلنا لها الارض ، أوصلنا الماء ، أوجدنا لها سوقا ( معمل الحرير الاصطناعي لأخذ العجينة من هذه الغابات ) فرحنا بها وهي تكبر ، وفرحنا بها وهي تغذي الصناعة •• ، ثم فرطنا بذلك كله •• من أجل بساتين الحسينية » •

هذه الافتتاحية الحزينة ، كانت بداية طقوس كربلاء ، في رحلتنا الفراتية ••

★ **وتترى الحكايات** :

جدول الحسينية مساحته الاروائية ٤٥ ألف دونم يكتظ ببساتين الفاكهة المتنوعة من البرتقال والحمضيات الاخرى ، حتى الكوجة والمشمش والاعناب والتين ، و •• نعجز ، ونخطيء العد ، حين نروم احصاء فواكه كربلاء وأنواع تمورها •

ولأنه يتفرع من مقدم سدة الهندية ، فهو يتميز بموقع اروائي هام [ خفضنا من الاضرار « نسبيا » لأننا تحكمنا ـ قدر المستطاع بالمياه ـ يقول السيد عباس الفلوجي مهندس ري كربلاء ـ ، ومع ذلك كنا نقسم المياه ( ٦ أيام ماء و ٥ أيام بلا ماء ) ،

والتصريف المائي قليل لا يتناسب مع الحاجة .. نغذي - بالمناوبة - جزء بعد آخر ، من النهر ، كنا نعطي الأولوية لمياه الشرب ، ثم الصناعة ، ثم أشجار الفاكهة ، ثم نعمد الى الارواء الزراعي ] .

[ في بعض مناطق الحسينية حفروا الآبار ونصبوا المضخات ( قوة ٥٠ حصانا ) على نفس الآبار حوالي ٢٠ مترا عمقا ] .

- في هذا الموسم نصبنا ١٩٢ مضخة مؤقتة ، على متشعبات جدول الحسينية ولحد الشهر الثامن ( آب ) نصبنا ٦١ مضخة والمضخات آخذة بالزيادة على شط الفرات ! ]

**تموت « الكمالية » من اجل « الحسينية » ، بهذه المعادلة الصعبة** عولجت شحة المياه وعطش كربلاء ...

**★ صعودا مع المأساة !**

ونذهب بعيدا ... حين كان « الحر بن الرياحي » مع جيش يزيد ، كان الفرات هاجسا ، وضميرا ... ليس من المعقول ، ان يكون الماء سيفا ضد البشر ... لكنه كان ... وكانت موقعة كربلاء ..

واليوم ، يعاودون استغلال الفرات ، يضعونه في موضع العداوة للبشر ، يشهرونه سيفا ضد الكربلائيين ، بل ضد الملايين الثلاثة والنصف مليون عراقي ...

ماذا يريدون ؟

موقعة أخرى ، كموقعة الطف ... ولكن بلا جيوش متقابلة بالسيوف ؟!

انه الفرات ... ولنعيد للزمن ذاكرته ...

كان الحر بن الرياحي ، شهما ونبيلا ، وكان يمتلك هاجسه الضميري النقي ... فحارب مع العطش والحسين ضد الذين قطعوا الماء الفرات عن الحسين وأهله وجيشه وحتى أطفاله !



مأساة النهر : الفرات كما يبدو من فوق جسر الكوفة

اليوم ••• تتأمل قبة الحر ، كانت تتحدى ، شامخة ، متوهجة ، كل أزمنة العطش •••

ومع ذلك ••• كان الفلاحون في « ناحية الحر » [ ٣ آلاف عائلة فلاحية ] يعانون العطش الجديد بضراوة •• هاجروا الى مناطق صيد الاسماك في الجبايش والجنوب ، وبعضهم ذهب الى « الثرثار » يناغيه ويناجيه ، ويعمل في ظل ريه ، بعضهم ذهب الى « الحبانية » لعلها تفعل شيئا له ، هؤلاء يحبون الماء ويعرفون سره •• فلم يهاجروا خارج انتمائه •• والآخرون هاجروا الى بغداد ومعامل الطابوق ، وناحية العباسية كناحية الحر [ ٦ آلاف عائلة فلاحية بلغت نسبة الهجرة فيها ٤٠٪ ••• ] كانوا يزرعون آلاف الدونمات من الشلب ، ويصدرون آلاف الاطنان •••
ذهبوا ••• لان الشلب يموت بلا ماء دائم !
ومن أصل (٩٥) جمعية فلاحية في ناحيتي الحرية والعباسية تبقى فقط ٤٤ جمعية ( حلت الأخريات بسبب هجرة الفلاحين ) •••

أي ظلم حل بالناس ، مع عطش الفرات ؟ سبعون ألف دونم من الشلب كانت تزرع سيحا ، الآن تزرع ضخاً ، ولا موارد مائية ، ولا موارد مادية ••• الفلاح يستهلك المردود المادي في المحروقات والمضخات !

وظل حزن كربلاء معتقاً •• وظل نواح كربلاء أزلياً •• وظلت بساتين كربلاء واجمة وحزينة ••• وحتى الرطب أصبح مرشوشاً بالملح !

**★ شهادات الفقراء في زمن العطش :**

**★ شهادة • هادي جيثوم ( فلاح من منطقة الطابو ناحية العباسية ) :**

« كنت متعاقدا على ثمان دونمات من أراضي الاصلاح الزراعي ، ازرعها بالشلب كمحصول صيفي ، كانت مزرعتي تفوح بعطر العنبر والنعيمة ، ثمانية أطنان كان واردي من العنبر والنعيمة للموسم الواحد ( قبل شحة المياه ) كان هذا الوارد يكفينا

وزيادة ..

بعد الشحة : نثرت ٢٤ كيلو من الشعير ، بالكاع النعبصة ، معتمدا على المطر ( كنت أزرع ٨ مشارات شلب ومشارة شعير ) .

كان المطر شحيحاً ، كماء الفرات ، وقبل نضج السنابل ، احترق كلها ( جفت وتيبست من العطش ) ..

أتدري ماذا فعلت ؟

بعتها علفاً للدواب .. والمبلغ الذي حصلت عليه هو ثمانية دنانير فقط !

ـ الجهد لمدة أشهر .. الحراثة والعناية ، وعرق الأيام ... راحت سدى ...

ـ وهل تطعم الدنانير الثمانية عائلة كاملة ؟ ..

ـ ماذا فعلت ؟

ـ بعت بقراتي الاربع : كل ستة أشهر أبيع واحدة ، وآكل بمبلغها ... حتى راحت البقرات !

ـ وهل أموت من الجوع ؟

ـ فكرت بذلك ... ثم ذهبت الى ، كور الطابوق ، أقص قوالب الطين ، وأعمل أجيراً ...

ـ مع ذلك ... اسسنا ـ رغم شحة المياه ـ جمعيتنا التعاونية ، بدأنا بخمسة وعشرين رجلا ،

كان ذلك يوم السادس من تشرين ١٩٧٣ ..

ولا تنسى التاريخ ، انه يوم اندلاع حرب تشرين المجيدة ..

لم نقدر على تجاهل التاريخ ... وبفرح علقنا اللافتة :

« تعاونية المعركة العربية »

لاننا كنا نعتقد ان هذا اليوم هو يوم معركتنا العربية التي ستعيد لنا أرضنا السليبة .

- أجيزت التعاونية ، كان « لطيف كاظم جاسم » فلاحا معنا ، ترك اطفاله الخمسة وزوجته واسرته ، وانخرط في صفوف جيشنا العراقي . كان جنديا شهما وهناك في الجولان كان لطيف كاظم جاسم ، جندي المدفعية ، يعانق الدروع ، ويقف في خط النار الاول ...

زحفت قواتنا . ووسط لهيب المعركة ، صرخ الجندي الفلاح ، لطيف كاظم جاسم .. كانت قنبلة عدوة قد مزقت ساقيه وكسرت حوضه وعادوا به ، بعد اشهر ، قعيدا ، وملتهبا حماسا ..

نمت جمعيتنا ، وتوسعت « المعركة العربية » حتى اصبح أعضاء الجمعية (٣٠٠) عضو ، نصبنا المضخات ، اشترينا سبعا بقوى حصانية جيلة (٥٠ - ٨٥ حصان) .. وعلى نهر « أم الحياية » في ناحية العباسية ، نصبنا المضخات ...
لكن :

« نشف الماء ، وظلت المضخات عاجزة ومتوحدة »
« المضخات يشربن التراب والهواء ! »
« شربنا الماء من الآبار المالحة .. »

وحفرنا كل بئر بعمق ٣ كامات ، ولم « يطلع » الماء .. حتى اصاب العمى الابقـــار ، ومات العنب

وسمعنا ... بوقف اطلاق النار في الجولان !
وعادوا بلطيف كاظم ، الفلاح ، الجندي المدفعي ، ممزقا وهو متلهب حماسا !

★ وجفت الاهوار :

ثانيا : عباس مايع ( فلاح من منطقة الحمام ) :

تبعد « الحمام » ! - عن العباسية مسافة ١٨ كيلومترا ..

عطشت « الحمام » وجلبوا لنا الماء ثلاث مرات اسبوعيا ، كانت نساؤنا يستعملن هذا الماء النادر لعجن الطحين والشاي ! «

« اشترينا السماد ... » لم نيأس .. وحين عاينا الأرض ، حرثناها ، رفعنا عن ترابها الأشواك ، وسعنا قنواتها ، ووضعنا لها السماد الكيمياوي والحيواني .. ووفق أحدث الوسائل والتوجيهات ، « داربنا الكاع » ..

وانتظرنا الماء .. ومضت الأشهر ، والماء لم يجيء ..

و ... مات كل شيء !

ـ كانت الثروة الحيوانية في هذه المنطقة ثرية ومتنوعة ، من الاغنام وحدها كان ٢٠ ألف رأس يغمر الأرض ضجيجا •• و « الجاموس » كان يغزو الأنهار حتى تبدو سوداء كثيفة الظلال !

**ـ ما مصير « الثروة الحيوانية » ؟**

**ـ التي عمت والتي ماتت والتي بيعت !**

ومنطقة الحمام كانت تقع في هور « أبو نجم » ، كان الناس يزورون بيوت جيرانهم بالمشاحيف •• « گمود » هذا المشحوف ، كان وسيلة النقــل حتى بين البيوت •••

صيد السمك ، في الحمام ، « بخير » [ بالفالة ، والشباك •• ] وصيد الطيور أغزر •••

كانت « الحمام » منطقة صيد غنية ، وفي كل بيت تعلق بحرص الشباك والفالات والبنادق الكسرية !

وكان القصب والبردي كثيفا •• وكثيرا ما كان الأخوة السوريون يشترون منا البردي والقصب بكميات كبيرة •• الحمام يبست تمـاما •• ( مائة بالمائة ) حتى القصب مات !

[ وتسمية « الحمام » جاءت نتيجة كثرة المياه وجمال المنطقة والماء العذب ] و « من باب حوشك تسبح بالماي » ـ قال عباس مايع ـ وهو يعاني ! « البيوت كانت مبنية على جديه »

[ والجدية : مرتفع من الأرض يمهد الفلاحون في الاهوار لصنعه تماما كمـا تصنع اساسات الأبنية الحديثة : ولكن من شبكات القصب والبردي والطين ، حتى تشتد وتتماسك مع بعضها لتشكل قاعدة مرتفعة تقاوم تيارات الماء في الاهوار •• ]



خسرت كل شيء

( هادي جبنوم ـ ام الحيابة ـ

وجفت الاهوار

عباس مايع ـ الحمام ـ هور ابو نجم ـ



هنا ضربوا اخي في الجولان فاصبح قعيدا

جليل كاظم حسن ـ



ومات كل شيء ..

ـ هادي عطشان ـ العباسية ـ



النواعير مشنوقة بحسرة



★ **الشهداء يعودون ثانية :**

- عبدالحسين آل درويش - فلاح **استشهد** في حرب تشرين ( الجولان ) .

- عبدالعال آل درويش - فلاح **استشهد** في حرب تشرين ( الجولان ) .

- صاحب آل درويش - فلاح **استشهد** في حرب تشرين ( الجولان ) .

آل درويش .. ثلاثة أخوة كانوا فلاحين في ناحية الحرية ، لبوا نداء الوطن وانخرطوا في صفوف الجيش العراقي ، وهناك في الجولان حاربوا ببسالة ... كانوا صيادين ماهرين .. تعلموا الرماية منذ الصغر ، وشبوا والبنادق تتدلى من أكتافهم بمحبة ...

وهناك .. على الأرض العربية في الجولان ، كانوا يدافعون عن جبل الشيخ ، والقنيطرة ، كانوا يصطادون جنود العدو ، بسهولة ... حتى شقوا طريقهم بفتوة بعيدا عن دمشق ...

مع بنادقهم ، كانت اغنياتهم لا تتعب ، حتى صمتت حناجرهم مرة واحدة !

**وقال معلق نشرة الأخبار :**

« بعد وقف اطلاق النار ، وجدت ثلاث جثث لثلاثة أخوة : عبدالحسين ، عبدالعال ، وصاحب ... والبنادق الثلاث حفرت على أرض الجولان هذه الكلمات :

« **نموت فداك يا دمشق !** »

وفي قريتهم .. لم يرفعوا علماً أسود ، أو راية حزينة ...

لقد كتب رفاقهم الفلاحون هذا السطر :

« آل درويش أنجبتهم أرضنا العربية ، فلاحين كرماء ... ظلوا كرماء .. حتى بالدم .. لا تقولوا ماتوا : انهم شهداء الوطن والتضحية والارض التي أحبوها ! »

وفي قريتهم ، يعيش الآن أطفال آل درويش ، ونساؤهم عطاشى .. لقد باعوا

كل ما يملكون ، من أجل ان تصل قطرة ماء لثدي أم كيما تمنح قطرة حليب لرضيع أو طفل !

كل شيء ... مات .. الا أرواح الشهداء !

وكل شيء .. كان

لقد استبدل آل درويش الماء بالدم والشهادة .. لكن هذا الدين العظيم ، لم يأبه به الذين ، ضحى الشهداء دفاعا عن شرفهم ، وشرف دمشق ، وشرفهم ...

لقد قدم اولئك ، هدية الظمأ والموت المقسط ، لأسر شهداء الجولان !

« وفاء » للشهداء !

وما « أعظم » و « أنبل » ـ هذا « الوفاء ! »

**★ من نشرة اخبار الحرب :**

ـ **استشهد** الفلاح العراقي حبيب عبد علي حسين ( من آل البو نعمان )

ـ محافظة كربلاء ـ وهو يؤدي واجبه القومي على أرض الجولان ..

ـ **استشهد** (١٩) فلاحا في ـ حرب الجولان ـ .. كانوا متعاقدين مع الاصلاح الزراعي .

ـ **استشهد** ...

يا أرض الشهداء ... يا كربلاء الأبية ، أي معنى رائع ، قدم فلاحوك النجباء ، في الفداء المعاصر ...

يا مدينة الفداء .. لقد تعلم رجالك درس الحسين ، وقدموه بلينا في الجولان ..

يا مدينة الفرات الظالم ... ان أبناء الشهداء ينتظرون قطرة الماء ، اسبوعا ، ولا تأتي !

ايها الشهداء ... كنتم أوفياء للارض ، ولنبل القضية .

**الضافة ضرورية :**

**في منطقة الوهابي ـ ناحية العباسية ـ شاخص عظيم اسمه « حي الارامل » !**

**سبب التسمية :** تسع عوائل كلها متعاقدة مع الاصلاح الزراعي ضمن جمعية المجتمع الاشتراكي ...

هذه التسع عوائل ... استشهد كل رجالها في حرب تشرين على الجبهة السورية !

★ **شهداء الماء ... :**

والماء ... « يصنع » الشهداء الجدد ...

كل عوائل شهداء حرب تشرين تعاني العطش ...

كل أسر الشهداء باعت مواشيها بسبب شحة المياه ..

كل أبناء الشهداء تشردوا ، وجاعوا ، بسبب شحة المياه ..

كل نساء الشهداء ، مشين الكيلومترات الطويلة ، من أجل قدح من الماء !

الارض ماتت ...

والانهار ...

والمواشي ...

وقبل ذلك مات البشر .. استشهد الرجال ...

وظلت عوائلهم تعاني استشهادا جديدا ...

فرات ...

هل ترضى ايها النهر العظيم ...

فرات ...

هل يشرفك ان تموت الأرامل وابناء الشهداء ... الذين دافع رجالهم عن

مشرفك في سوريا ..
قوات ...
هـــل ...
والماء مصيبة !

★ من يذكر تلك الايام ؟

« على هضبة الجولان كانت المعركة تحتـــدم ، دوي يصم الاذان ، وحرائق ، وانفجارات وغيوم من الدخان ، ترتفع الى أعلى ، والطائرات تقصف ، وكان القصف شديدا ، من الجولان الى الارض ، ومن الارض الى الجو ، ومن الارض الى الارض ، ومئات المدافع في امشاط من القنابل الصاروخية المندفعة ، تمهد للدبابات المتقدمة ، وتدمر المواقع العدوة ، والدبابات تتقدم وتطلق ، والانفجارات تتوالى ، والطائرات المعـــادية تتساقط ، تحترق أو تنفجر في الجو ، كانوا يشاهدونها ويميزونها ، وكانت رقعـــة الجولان ، هذه المساحة الصغيرة نسبيا من الارض ، ميدان عراك ضار بين مئـــات الدبابات ، وعشرات الطائرات ، في طلعات متواصلة ، وموجات متتالية ، وبدا المنظر من قمة جبل الشيخ كأن غابة ضخمة على امتـــداد الجولان كلهـــا ، تشتعل بنيران متأججة » .

جلس **لطيف كاظم** « جندي المدفعية الفلاح من منطقـــة ام الحيـــاية » : ليتذكر :

« كنا ثلاثة على المدفع ، رمينا من الصبح ، ما تناولنا غذاء ولا عشاء ليومين متتالين ، ويوم وصلنا الأمر بتغيير الانفار نزلت من المدفع ، اتكأت على صخرة ، كان امتـــاد الى جانبي ، أشعلت سيكارة ، ومـــا أحسست الا بقذيفة تمزق لحمي .. أمسكت رجلي ، كان ضابط المدفع قربي ، سألني : قلت له : اصابة !

جلب بطانية عسكرية ، لفني بها ، كانت دمائي تسيل من منبت الحوض حتى الرسغ ، أما الجندي الآخر ، فقد مات ! والثالث قطعت ساقاه ...

كنا نحن الثلاثة ، فلاحين ، قبل ان نلتحق بالمعركة .

* * *

**جليـــل كاظم** ( شقيق لطيف ) عبر نهر ام « الحياية » مشيا ، ليجلب لنا دفتر تجنيد الجندي – الفلاح لطيف ، الذي أقعدته الحرب !

ذهبنا الى منطقة نهر « ام الحيايه » لنلتقي بالجندي لطيف كاظم .. ( لم نجده ) قال شقيقه جليل : « لقد أخذوه الى المستشفى مجددا ... » [ رغم العمليات الجراحية التي اجريت للجندي لطيف .. فقد ظل مشوها ، من عظام حوضه حتى الرسغ ] .

**ام « الحياية » نهر الموت :**

كان الطريق الى « أم الحيايه » يمر عبر المأساة ، من النجف الى الكوفة ، الى العباسية .. طريق للآلام ..

على جسر الكوفة وقفنا ، كان الفرات شاحبا ، والمواشي تمشي عليه .

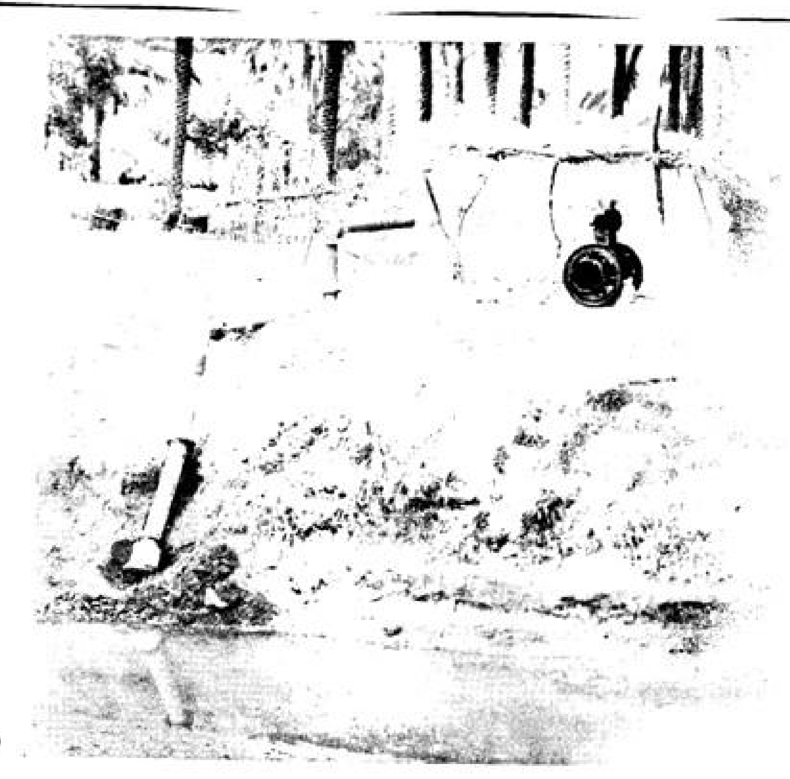
علق الفلاح محمد « كان الفرات يطك الجرف ويثلمه » .

واستطرد بلهجته العامية : « الماي سوه ويانا مصيبه كطيعت الوجه » .

وفي مقدم نهر « أم الحيايه » ، كانت بوابات الحديد لناظم النهر مرتفعة ، كأنها تفسح مجالا للضوء أن يدخل والهواء ، بدل الماء الذي انقطع ...

وهذا الناظم يأخذ مصاريفه المائية من شط الفرات ، مساحته الاروائية ١٥ ألف دونم ، كانت تزرع سيحا ، لم يزرع منها الآن شيئا .

كان هذا النهر ، به فائض دائم يروي مناطق أخـرى ، لكنـه الآن ، رغـم التطهيرات والمضخات ، يابس تماما ..



قوعة المضخة بلا ماء : منظر يتكرر في حوض الفرات



ايقاع ماساوي

( نهر ام الحباية ـ العباسية ـ كربلاء )

و « ام الحيايه » يبعد عن مفترق شطي الكوفة والعباسية ٢٢ كيلومترا ..
كان النهر « جنة العباسية » فيما مضى ..
اما الان فهو نهر موت والعطش اللعين !

يقول **هادي عطشان** : « أحد اعضاء تعاونية المعركة العربية في قرية المالحة » :
ـ ربما .. سأظل عطشانا .. على التسمية والواقع !
كان عندي عشرين مشارة أحصل منها على عشر دغارات عنبر ، **الآن** ، **لا احصل** ولا على دغار واحد ! « ظلت بس عاگول » .
كان عندي ٣٠٠ رأس غنم .. بعتها كلها « حتى نأكل خبز ونعيش عوائلنا » .

**مجموعة من الفلاحين وبصوت واحد :**

« كلنا مثله .. احترقنا من جانبين موت الزراعة وموت الحيوانات » .

انظر انه النهر الباكي : حتى بوابات النواظم ظلت معلقة دون ماء
نهر ام الحباية ـ العباسية ـ كربلاء



**كــربلاء :**

**★ حجم الاضرار في اربع نواحي تابعة لمحافظة كربلاء ( كامثلة حية ) :**

| الناحيـــة | المساحة المتضررة (بالدونم) | عدد العوائل المتضررة | المبلغ (بالدينار) |
|---|---|---|---|
| ١ ـ العباسية | ١٦٥٠٤ | ١٨٥٤ | ٤٩٠٦٨٤ |
| ٢ ـ الحـرية | ٩٣٨٧ | ١٣٣٠ | ٤٨٥٦٥٠ |
| ٣ ـ الحـــر | ٥٤٢٠ | ٥٩٤ | ٤٠٩٦٣ |
| ٤ ـ الحيدرية | ٦٦٦٨ | ٥٧١ | ٨٣٩٠١ |
| المجموع | ٣٧٩٧٩ | ٤٣٤٩ | ١١٠١١٩٨ |

● هذه النسب هي حصيلة تقليص الضرر والتعويض الى الحد الادنى ، معنى ذلك ان هذه النسب تشمل العوائل التي تضـررت بنسبة ٨٠ ـ ١٠٠٪ في حـين لم تحتسب أضرار الكثير من العوائل الاخرى ، .



★ **والقادسية محروثة بالنعار :**

من يصدق النهر ، ومن يصدق العذاب ؟
نحن صدقنا ...
فالفرات لم يكذب ، عمره ، ولا كذبة بيضاء
كان صادقا حتى وهو يمشي حاسر الرأس ، عريان ، متكسر الضفاف ..
كان صادقا حتى في جفافه وبؤسه ..
وكانت معاناته عسيرة الفهم على كل الذين لم يلاحظوا مجراه ، ولم يعـــرفوا تاريخه ، ولم يدركوا سر الماء ..
لقد كذب الذين حبسوه ، حتى صدقوا كذبهم !
وكذب الذين عذبوه ، حتى ألقوه من زنزاناته في سد الطبقة مثقلا بالجراح ..
جاء بعذابه الينا ، احتضناه ، واحتضنا عذابه ، وتعذبنا معه ..
وصدقنا الذين ابكاهم الفرات ، عطشا ، وجوعا ، وتشريدا ، وموتا ..

★ طريق العطش ، طريق العذاب :

كان العطش كافرا ، اعترض طريقنا ، قطع علينا السبيل ، كانت شواخصه ، متمثلة أمامنا ، صارخة ، وقفنا ..

اسم القرية : قرية السيد طالب .

العنوان : في الطريق الى القادسية قرابة ٢٠ كيلومترا ..

الوضع الاجتماعي : هاجرت ١٥٠ عائلة ، وظلت ٢٠٠ عائلة صابرة ومعانيه ..

شهادة : يقول « منهل موسى الخزاعي » مساحة قريتنا قرابة الثلاثين ألف دونم لو جهزت بالماء ، لتعاقد الفلاحون على نصفها ...

منشا المشكلة : « نهر الحفار الصغير » ينبع من فرع الشافعية التابع للفرات ، هذا النهر يمكن ان يغذي ويروي القرية وكل القرى المجاورة لكن النهر مرتفع وقد ظهرت في وسطه الجزر مما حال دون وصول الماء .. خاصة أيام الشحة ولحد الآن !

★ والحفار .. الكبير ايضا :

في قضاء الشامية ، بعيدا عن نهر الحفار الصغير ، كان « الحفار » الكبير شاخصا أكبر للمأساة .. [ كلف ناظم الحفار ٢٥ ألف دينار أصبح الآن ـ هياكل كونكريتية ـ الماء : صفر ]

تقول الارقام : ٢٤٨ ألف دونم ( كانت ) مهيـأة لزراعة الشلب تحولت الى صحراء ( بعد حبس الماء وشحته ) ٣٠٠ عائلة فلاحية ( لا ماء ولا محاصيل ولا صحة ! ) ونهاجر ، كطيور المواسم ، لعل « الرزق » يأتي ، و « أرض الله واسعة » ، عناوين ، لقصائد الألم ، التي تفوح بها الأرض وفلاحوها العطاشى ...

للأرض قدرتها على الاقناع ، نعومتها في الكلام والملمس ، والأرض ، كالمرأة ، تموت حين تجف فيها مياه الحياة ، وتفقد انوثتها وخصبها …

ـ **ناحية آل بدير** : الخسارة ـ الاضرار ـ الهجرة ـ العطش ١٠٠٪ .

ـ **ناحية سومر** : الخسارة ـ الاضرار ـ الهجرة ـ العطش ١٠٠٪ .

ـ **الدغارة ، الغوار** ، الـ .. كل الهور الذي كان غاصاً بالناس والمياه والاسماك والطيور [ في قضاء عفك ] أربعون ألف عائلة فلاحيه تضررت في محافظة القادسية النسبة العظمى منها في قضاء عفك ..

كانت قوة تيار الفرات قد حطمت ناظم الحفار حال افتتاحه ، تلك نكتة الرواية ، يروونها ! ، اذ اضطر المسؤولون ، في حينها ، الى قطع الماء لتتمكن من تصليح الناظم .. **الآن** ، هذا الناظم الضخم ، أصبح هيكلا كونكريتيا .. ( نعيد هذه الصورة ، لندلل على الفارق بين الماء الفرات واللا ماء ! ) .



الحفار الصغير بلا ماء ، والقرية ماتت

منهل موسى الخزاعي ـ قرية السيد طالب ـ قادسية



هاجر الفلاحون ودمجنا الجمعيات

علاوي زغير ( القادسية )

★ **شهادات ميدانية :**

الفلاح ( **علاوي زغير** من ناحية الخورنق قضاء الشامية منطقة الحفار ) :
« هاجر قرابة الاربعمائة فلاح الى المدن – مع عوائلهم – وظل قرابة الثلاثمائة يعانون الجفاف •• الى جانب أربعمائة فلاح تم اسكانهم على ضفاف شط الشامية ( كمعالجة وقتية ) ١١٦٠ فلاح منتمون الى الجمعيات الفلاحية في ناحيتنا ، كانوا يزرعون الحنطة والشعير والمخضرات ، وكان الحاصل بحدود عشرة آلاف طن سنويا ( قبل شحة المياه ) ، اما الآن فلا حاصل ولا محصول !

★ **شهادة الارض والماء والعطش :**

- أشهد ( أنا الارض ) – في الرميثة – ( هل تتذكرون اسمي : الرميثة ، رميثة ثورة العشرين والبطولات الفراتية ، أخاطبكم لانني أمتلك صوتي المتميز في التاريخ والسياسة والمقاومة والصمود ••
أشهد أن قسمي الخاص بالشلب ( ٤٢ ألف دونم ) كان يعطي اكثر من ٦٠ ألف طن من العنبر الرائع سابقا •• هذا القسم **اشـــل** الآن !
- في منطقة الخضـر **الغيت** ١١ جمعية فلاحية : **هجــر** الفلاحون الارض •
- مشروع الثروة الحيوانية – لتعاونية آل سباهي الزراعية [ ناحية البدير ] : **الغي !••**
- التعاونية الزراعية ( ٢٠٠–٣٥٠ فلاح ) في النخيلة ، البو علي ، النصــر : **هاجروا !**
- الفراضة والبحث ( ٢٠٠ عائلة ) – هاجروا !

★ **شهادة فلاح شهيد :**

- الفلاح **راضي حسن حريجه** من جمعية الطلائع الثـورية الفلاحية ، ناحية الصالحية – قضاء الشامية – محافظة القادسية ( الديوانية ) :

• كنت أعيل زوجتي وبناتي ووالدي ••• بعد صدور العفو عن المتخلفين ، استجبت لنداء الوطن فالتحقت في صفوف الجيش العراقي ••

تدربت – وما أسهل ان يتدرب الفلاح على السلاح وهو الذي لم يترك سلاحه منذ الطفولة – وكنت معجبا بالتسليح الحديث و « التقنية » – كما يدعوها المثقفون –

كنت أحلم بالسفر ، ولو مرة ، لزيارة المراقد المقدسة ، أو الحج •• فالانسان – مثلنا – لا يحلم كثيرا !

فلم انها فرصة : أن احارب في الجولان ، وأزور بعد انتصارنا قبر زينب !

ان نحارب ، بالمفهوم الذي تعودنا عليه منذ طفولتنا ، يعني ان لا نقف في الوسط : أما غالب وأما مغلوب ( والمغلوب عندنا – في الريف – يعني الموت ، فلا حياة لمغلوب يكلله عار الهزيمة كل عمره – )

صحيح ••• هذا هو ما نعتقده ،

وفي المضيف ، قبل ان اغادر الى دمشق •• كنت أشم فنجان القهوة ، فأحسست بالحزن ، كأنني سأغادر الدلال زمنا طويلا ••

لم أقبل بناتي ، كما يفعل ابناء المدينة ، لكنني شممتهن ، وقبلت والدي ، ورحلت ••• حملت عطر الارض والاهل والدم العائلي •• ورحلت ••

كنت أضحك ، رغم مرارة وخشونة الحياة في الريف ، كلما أصابني مكروه •• أما في الجولان ••• فلم يطالني الحزن •• كان فرحي عظيما ••

لم نتوقف ، لم نذق طعما لنوم أو طعام أو راحة •• وهذا ما أعجبني •• أن نمضي مرة واحدة ، نحمل شحنة الاندفاع ، وحرارة الاقدام ، ذلك ما هو طبيعي في جيشنا ، تعودنا ان نطوي على غضبة عراقية كريمة وثائرة ••

كنا ، بحرارة الجمر •••

فجأة ••• وكنت أحسب المسافات التي شقتها قواتنا متوجهة الى العمق ، أعد وانظر الى الطوق الرائع الذي احطنا به دمشق فأنقذناها ، ثم دفعنا وابل الاعداء ،

الى الهزيمة ، فالعمق ..
ونحن نتقدم ، أحسست أن ظلاما خيم على عيني ! ..
هل هو الموت ، ايها الاصدقاء ...؟

**صوت العائلة** : بعد وقف القتال ، جلبوا لنا راضي ، جثة ملفوفة بالعلم العراقي .

**ابنة الشهيد** : قالت لي معلمة المدرسة بماذا تبرع أبوك الى المعركة ..
قلت : بدمه وحياته ..
قالت لي معلمة المدرسة بعد سنتين : لم انقطعت عن المدرسة ؟
قلت لها : لم يعد في الحقل ماء !

**الابنة الثانية** : أبي .. قال لي قبل السفر ، سأرجع وأجلب لك راية خضراء من قبر زينب ..
أبي عاد بعد السفر ، مخضبا بالدم ... ملفوفا بعلم أجمل ..

**والد الشهيد** : منحهم دمه ، وبخلوا علينا بالماء !

**★ صوت في البرية :**

انا الفلاح راضي حسن حريجه ،
انا الفلاح راضي حسن
انا الفلاح راضي
انا الجندي المكلف ...
انا ...
الشهيد !
امنحوا أهلي الماء !
منحتكم دمي !
منحتكم ...
منحتكم ..
أم ...

● **القادسية ( الديوانية ) :**

صورة للاعمال التي قامت بهـا مديرية ري القادسية كما عكسها لنا السيد حاتم محمد القويزي - مهندس الري - وهذه الصورة لم تكن ضمن اعمال المديرية قبل الشحة .

- المضخات التي نصبت بعد شحة المياه على الجداول الصيفية والشتوية حوالي ٣٠٠ مضخة مؤقتة معدلات القوة الحصانية من ٥ - ٥٠ حصانا .. تم نصبها للجداول المتفرعة من الشامية الى ابي صخير .
- تم تطهير الجداول الفرعية التي تتفرع من شط الدغارة وجدول الحرية الرئيسي ( وبضمنها الحرية الرئيسي ) والحرية الجنوبي والاسدل الشمالي ، كذلك تم كري : نفر ، جوعان ، الغوار ، البو صبخة ، البو حسن ، جـدول جحيش [ تفرعات شط الدغارة ] عدا بعض الجداول الفرعية ذات النفع الخاص والتي قام الفلاحون بتطهيرها ضمن حملات عمل شعبي ..
- منطقة الزراعة الصيفية ( الشلب ) : يتكون الفرات الرئيسي من مؤخر سـدة الهندية في فرعي شط الشامية وشط ابي صخير ، قبل سنوات الشحة كانت المساحات الواقعة ضمن حوض هذين الفرعين بحدود ٢٠٠ ألف مشارة تزرع فعلا بالشلب ، لم يزرع منها سوى بنسبة ١٠٪ ابان شحة المياه .
- نصبت المضخات على صـدور الجداول الفرعية عند شط الشامية ( المساحة الاروائية ١٣٠ ألف مشارة شلب ) لاغراض مياه الشرب ( فلم تعد هناك زراعة للشلب ) .

١ - جدول المهناوية ( **مضختان قوتهما ٢٨٠ حصانا** )

٢ - جدول جيجان ( **٨ مضخات قوتها ١٠٠٠ حصان** )

٣ - جدول عتر ( **٣ مضخات قوتها ٤٢٠ حصانا** )

٤ - جدول الحدادي ( مضخة واحدة قوة ١٤٠ حصانا )

٥ ـ جدو هويشة ( مضخة واحدة قوة ١٤٠ حصانا )

٦ ـ جدول الفلاحي ( ١٤٠ حصانا )

٧ ـ جدول غضيب ( [illegible] حصانا )

٨ ـ جدول النجارية ( مضختان قوة ٢٨٠ حصانا ) •

ملاحظة :

● هذه المضخات نصبت خلال سنه ٧٤ـ١٩٧٥ •



ويحملن القرب الى مسافات بعيدة عن ماء الشرب
ماذا يفعل العطشى
ـ القادسية ـ

★ السوير اللي تضايل :

يشقون طريقهم عبر وابل الأسى ، كأن الكلمات القوية ، حناجر مضافة تكبر صوت الألم !

هل كانوا يفتعلون ذلك ؟

كلا .. كانوا يشقون طريقهم عبر مجازر الاحزان ، كل كلمة وجه يتضور جوعا ، كل كلمة قلب شحبت شفافة ، وتوقف وجيبه ،

كل كلمة شريان تدفق دما في الجولان وفاض رعبــا وانتفض حماسا بوجه فوهات البنادق والمدافع وحرائق النيران ..

أي حزن مثقل الخطوات يمشي معنا ..

كان وجه « محمد عزيز » منحوتا بالألم والحرقة ، يتحدث كأن قلبه على جبينه ، كأن دفقات الدم تنز من حدقتيه ..

كانت أصابعه تصرخ ضد جريمة حبس المياه ..

وكان الماء طينا ، كان وابل القهر الانساني يمطر بغزارة ، كتلا شمسية حارقة ، وجفافاً غزير التأوهات ..

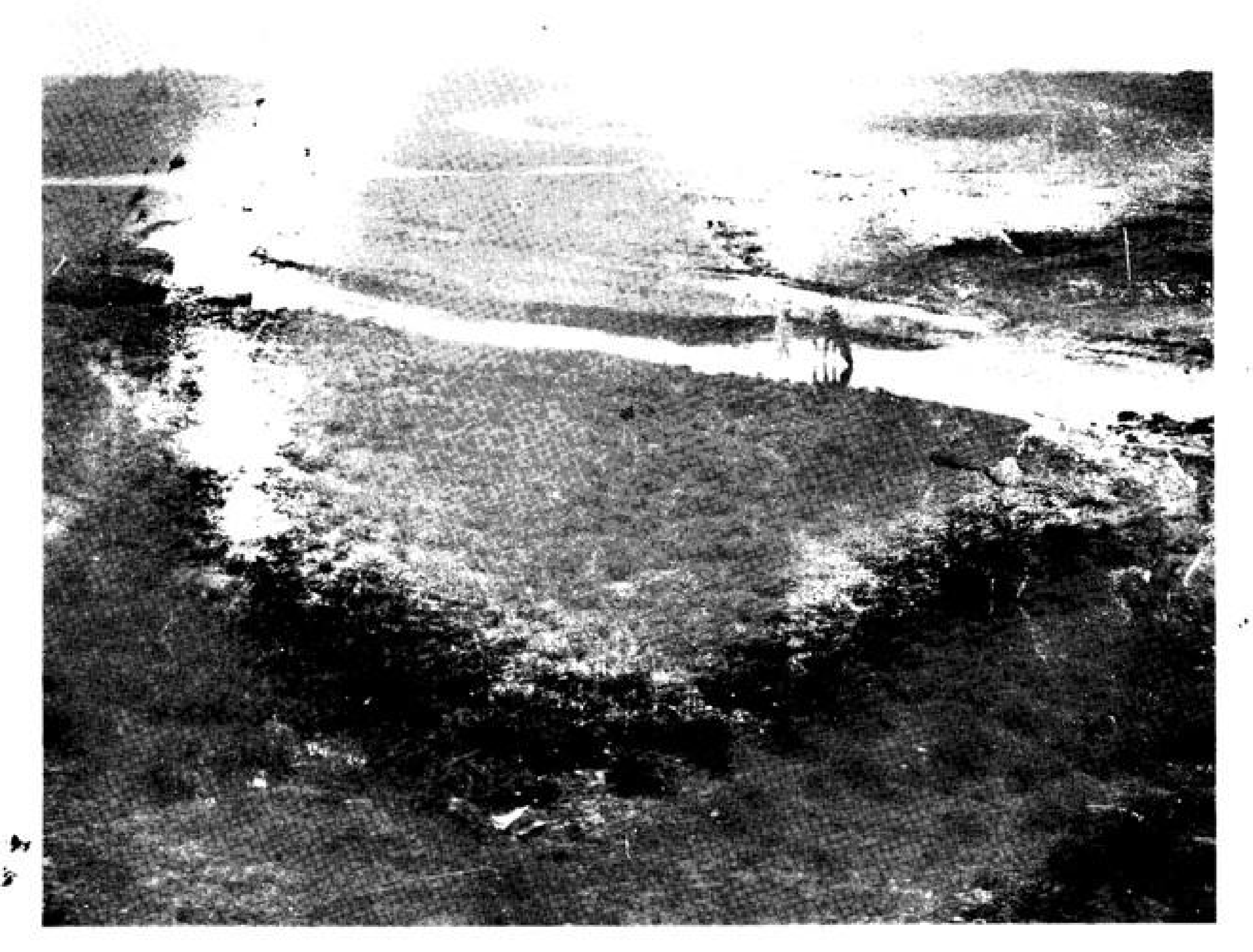
كل الارض عطشى ، تفتح جراحها مكتظة بالملح ،

وكل الناس تحملوا الضنك بعزة نفس أبية ..

كانوا اسياد الارض ، ثراء ونعمة ، رفضوا ان يمدوا يدا للاستجداء ، حملوا معاولهم ومساحيهم واشتغلوا عمالا أجراء في أعمال الطرق والمجاري ..

لم يستنكفوا .. كانت عزة أنفسهم تجد شرفها في العمل الحر ،

كلما مررنا ببيت مهجور ، وأرض يباب ، وناعور صدىء ، وترعة جافة ، وحقل متشقق الارض ، كلما ، أدركنا ان المأساة محفورة في الاعماق .. كل الاراضي الشاسعة التي رواها شط « السوير » ، أصبحت بورا » .



السوير الذي كان نهرا عظيما ..

للخضرة والرواء

الناعور الذي فقد قدرة النظر الى الناس ، الى الاشياء ، الى الماء ..

و « حق شط السوير الما نشف مايه »

كانوا يحلفون بشط السوير ، لكنه الآن ، هذا الذي كان سورا للحب والمدنية ، للبساتين وحقول الشلب ، للخضروات والاذرع والوجـــود والترع . وكل الحوض .. الآن : « نشف ماؤه » .. فبأي « حق » يحلفون ؟

أيها النهر المتطامن ، كان الشط عريضا وواسعا سعة السماء .

« من الروف الى الروف » كان عرض النهر ألف متر ... والماء الآن نهير ، عرضه متران ! وعمقه بالبوصات .. ونحن نقف « تحت الجسر » .. ان لم تصدقوا انظروا الى صورة النهر !

ـ ١٥ مضخة كبيرة نصبت في صدر الفرات ، لتضخ من « شط السماوة » الى « شط السوير » هذا الخيط الرفيع الذي يضمحل حتى يتلاشى ..

كان « السوير » يغطي حتى الشارع والضفاف العالية بمائه ذي التيار القوي ، كان « السوير » شطا ..

ويتساءلون :

ـ من المسؤول ؟

وتنظر الى الوراء بغضب !

**★ بعيداً عن النهر قريبا من المأساة :**

بعيداً عن الضفاف كان الزرع رائعاً ، في « الشواطي » التي كان الماء يغمرها قبل الجفاف ، فقط ، وضحا ، وبقوى حصانية عالية ، استطاع احدهم ان يزرع خيطا من الذرة الصفراء ..

ومشينا ... بمحاذاة النهر

كانت قراب الماء والبراميل الفارغة ، و « التنكات » مرصوفة على مسافات منظورة ،

طوال الطريق المبلط ، المحاذي للنهر ••

« **ام كاظم** » واحدة من نسـوة السماوة ( منطقة ال أبو حسين ) كانت تطوق رأسها بشماغ منقط •• قالت ، وهي تهرب من عين الكاميرا :

« هذا الماء لا يكفينا حتى للشرب •• » كنا نسقي مواشينا من الشطيط [ انها تدعو بقايا « السوير » هكذا ] •• اما هذه القرب المائية فهي للشاي والخبز !

قالت « ام كاظم » •• وهي تدعو على الذين قطعوا الماء بالموت •

● بين يوم ويوم ـ قالت « **ام كلثوم** »٢٠ سنة آل ابو حسن » ( متزوجة وأطفالها معها يحملون أواني الماء •• )

« **عجيلة** ، **فضيله** ، **ام كلثوم** •• » نساء ، نساء ، هـذه صورة سـنة المرأة العالمية ، كما أرادها الذين قطعوا الماء عن الفرات •• وقطعوا الفرات عن الاهل والعشير ••

هل يراها الآخرون صورة سياحية تصلح غلافا سياحيا لسد الفرات !

سنة المرأة •• ان نساء السماوة ، سمراوات السماوة اللاتي يشاركن الرجـل أرهق الاعمال ••• يصرخن بالادانة ••

ابتساماتهن ، ثقة كبيرة وعالية بالنفس •• ويصرحن برفاه من الثقة وباعتزاز طري ••

ذلك لا يمنع الصدق ان يكون سيفا مسلولا • لا يمنع الاغنية ان تكون خضراء رغم جفاف الارض والانداء •

نسوة برشاقة الغزلان •• يكدحن مع الرجل يوميا ، منذ أول بسمة للشمس ، حتى آخر بسمة غروبية ••

يعملن •• ويحملن دلاء الماء ، مسافات دون كلل •• ولا يبكين على الفرات ! بل يرثين الذين قطعوا عنه أغنية النهر ورفاه الحب ••



نريد الماء ..

ام كاظم ـ السماوة



ام كلثوم وفضيلة وعجيلة

نساء العطش في عام المرأة الدولي

حزين ومعطل هذا البلم ازاء صحراء النهر
- السماوة - نهر السوير -

★ صورة للخوف :

رجل مر سريعا ، كأنه يهرب من عاصفة ... كان يرتدي دشداشة مستوردة ، مفصلة على مزاج خليجي .. كان « خارج العراق » ! قال وهو يلهث :« كلنا مرضى .. حتى الموش مريض يحس واحد يمرد بگلبه .. الگاع موجودة ، بس ماي ماكو ، جان الزرع ثلاث مشاير خضرة يربح .. هسه .. ماي ماكو ..

ـ شكد تزرع .. سألناه بلهجة عجلى :

ـ لا أزرع شي .. ولا شي !

ـ اسمك .. ومن اين انت ؟

ـ لا .. لا ..

وهرب بعيدا ..

نظرنا الى النسوة ، كن يسخرن منه ، ويضحكن بشجاعة : « هذا مو من الولايه ..هذا ما ذاق المر والعطش » .

★ العطشان عطشان حقا :

يتفرع الفرات الى فرعين ، هما شط السبل وشط العطشان ، ويلتقيان ثانية في شط السماوة ..

العطشان .. ترك الماء ، عافه ، حتى كأن الفرات أراد النكاية بهـــذا الشط فجعله « عطشانا » حقا ، بعد ان كان مرتويا وراويا .

كل حوض العطشان أصبح أرضا جرداء ، تتناثر في مساحاتها الشاسعة خيام البـــدو الرحل الذين يبحثون عن الكلأ لمواشيهم .

العطشان مأساة الاسم والشط والبشر ..

كل الناس هاجروا كل الناس عافوا الارض ، ولم يبق سوى الفراغ الممض القاتل .

« أيام الفيضان ـ يقول محمد عزيز ـ سـنة ١٩٧٠ ، كان العطشان قـد أغرق

المنطقة .. انظر ـ واشار بيده الى بعيد ـ تلك الاشجار البعيدة ، كانت البيوت هناك قد انتقلت الى هنا ـ واشار الى الجهة اليسرى من السدة الترابية العالية التي توازي الشارع العام بمسافة (عرض ٢٠٠م) لقد انتقلت البيوت الى ما خلف الشارع المبلط ، بمسافة بعيدة .. تحاشيا للمياه !

**★ « العطشان .. بلا ماء .. »**

كانت فتحات الترع عالية وبائسة ، وقد ارتفعت أمامها تلال الطـــين حتى أوشكت ان تتكلس من الجفاف ، وقوة حرارة الشمس ، وكأن الترع مهجورة منذ العهـد المغـــولي .

ان المغول الجدد ، عكروا سماء الناس ، وعكروا صفاء النهر ، وأحالوا الأرض الخصبة الى يباب ! فالعطشان يشبه المبـــازل ، والاملاح ترسم حواشيها البيض على انحدارات الضفاف ، وينقلص النهر وتتقلص معه المياه ، حتى تصبح مالحة جدا .. فالعطشان كتبوا على جبينه ان يبقى عطشانا ..

هذا النهر الذي تحدى اسمه ، فأغاض الاعداء ..

هذا النهر الذي كان الراوي والمرتوي ، أصبح عطشا مرا ..

## اضافة ضرورية عن السماوه العطشى

– منطقة النجمي ( تزرع ضخا ) ( شتوي وصيفي ) : الآن : الزراعة الشتوية : « ماكو » .

– ناحية الوركاء ( مشروع الحجيمي ) : لا شتوي ولا صيفي ولا ماء شرب ( ٥٨ ألف دونم ! ) .

– أكثر من ٣٠٠ ألف دونم كانت صالحة للزراعة : الآن : لا انتاج .

– شط العطشان ( تقع عليه ناحيتا ذي قار والهلال ) ( فيه ٤٨ مضخة أقل مضخة تروي ٧٠٠ دونما : الآن : ولا مضخة تعمل .. كل الجداول أصبحت مبازل .. يعتمد الفلاحون على مياه السيارات الحوضية كل سبعة أيام مرة ! : « لا زرع ولا حلال ! » .

**حـــادثة :**

● « مهما يكن حجم المأساة في حوض الفرات فالمثنى تجسيد للمأساة » قال محمد عزيز ، وهو يكتظ بالغضب والانفعال ..

● في النصف الثاني من شهر تموز انقطع الماء تماما عن السماوة ، لا البيوت ولا المحلات .. لقد توقفت الاسالة التي تسحب الماء من شط الرميثة .. بسبب انخفاض المنسوب لدرجة ان المضخات لم تستطع سحب أية كمية لتفريغها في خزان الاسالة ، وظلت المدينة عطشى !

أوقفوا ضخ الماء في اسالتي الديوانية والحمزة والمضخات التابعة للرميثة ، وحولوا الماء الى خزان مشروع الماء الموحد ، للتمكن من الحصول على كمية ولو ضئيلة لمياه الشرب حتى « جنبة الشط » [ وهي منخفض مائي بطبيعته في مجرى النهر يوسع بالحفر ليغذي الاسالة ] حتى الجنبة « جفت ولم تعد تعطي شيئا للانسان !





★ **في الناصرية : تعطش واشربك مه !**

* تقول اغنية شعبية :

للناصرية .. تعطش واشربك ماي

بجفوف أيديه ! « .

ويغني فلاح من سوق الشيوخ اغنية ملتاعة ، كان الرجال ينصتون اليه بتألق مهموم .. أي حزن يترك موت الشلب !

تعطش ، ويعطش ، ويعطشون ...

يموت الشلب .. وتموت الاسماك ، ويموت طير « الخضيري » وكل طيور الماء .. في الناصرية .. الاهوار جفت هي الاخرى ، وغادرت الارض العافية ، الأوبئة باتت مستوطنة ، والجراثيم هي نبات العطش في المستنقعات . كل شيء ، عدا الماء ، أصبح ميتا ، الماء وحده ، لم يعان الموت لأنه يمنح الحياة ، حتى ولو لعشبة صغيرة ، ولكن اين الماء .. اين الماء

وغنى المغني : آه ..

« أويلي » ... حزينة هذه الكلمات وملتاعة ، وتصدر من القلب ..

غنت كل غابات النخيل ، وغنت كل الانهر والاهوار ، وغنت كل الترع والجداول ..

« آه ... »

وانتفض السمك ، خرج عن الملح ، لم يعد في الهور ماء ، ولا في الفرات ، طفح السمك ميتا .. والناس لا تأكل لحم الميت ! فعافته الأنفس ، وحزنت عليه الجداول وممرات النواظم ، واحواض الأنهر ...

★ ويدخل الفرات ولا يخرج :

يدخل الفرات حدود محافظة الناصرية ( ذي قار ) من ناحية البطحاء ( قرية الهويشي ) .
ويمتد حتى الاهوار مسافة ١٦٠ كيلومترا ،
بساتين النخيل ، ومزارع الشلب وأحواض الاسماك والثروات الحيوانية الطيور ، ،
المواشي ...
كل الحياة في حوض الفرات ، على ربوع الناصرية .. كانت ( حيـاة حقيقيـة )
ولكن .. لم تعد الحال كما كانت .. تبدلت سحنة الناصرية ، تبدلت سحنة النهر ،
والمزارع ، واحواض السمك ، ومراتع الطيور .. كل شيء جف ، ومات ..
الجرائيم والاوبئة والاملاح ، والسباخ والاشواك ، وحدها التي نمت وتكاثرت
بشكل رهيب ..
يدخل الفرات حدود الناصرية ، ولا يخرج !
يموت الفرات ، عند نهـاية الحوض .. ليس ثمة مـاء ، وليس ثمـة مجرى ،
« حتى الاهوار جفت »
يقولها الجميع ... عبارة الجميع ...

و « حتى الاهوار »
تعني النخيل والبساتين والثروات الحيوانية ، و ... الناصرية

تبكي ... العطش ...
وتنوح الاغنية :

« وتعطش واشربك ماء ... »

ولكن : أين الماء ؟!

★ الشلب وابو ناصر الذي مات حقله !

ـ عبدالحسين جابر ( فلاح من قضاء سوق الشيوخ ناحية الكرمة منطقة الكرماشية
جمعية الحرية )



موت الشلب وحكاية « ابو ناصر »
ـ سوق الشيوخ ـ

أعطى عنوانه كاملا ، وراح يتأمل وجوهنا بأمعـان ••• وحـين احتسى استكان الشاي ••• أوقد سيكارته نثقة وراح يتكلم :

« ازرع ٧ دونمات شلب •• في المواسم الاعتيادية ـ احرثها سنويا ، واعتني بها كطفل •• اطهر النهر ، وأبدأ الحراثة منذ الشهر الاول «بداية الگراب »

« تأتي زيادة المياه بشط الفرات ـ والكلام عن الفترة ما قبل الشحة ـ نستفيد من زيادة الموسم المائي ، لانه يحمل معه الطمي ( دهلة ) هذا الطين نطين بـه الارض ، ومن يهدا الماي عالكاع تبدي عملية التعديل •• نعدل المبازل ونثر بها الشلب ـ أواخر نيسان ـ بعد ذلك •• تبدأ عملية مداراة الحقل ، تطول المدة أكثر من ثلاثين يوما ، على وجبات ( ثلاث مرات يوميا • في الساعة الرابعة عصرا ، نسد « العبرة » من الصدور ونفتح المبزل من الذنائب « نطير المبزل » • يبقى الحقل طوال الليل حتى ينشف ( يجف ) ، وفي الصباح ، منذ الفجر ، نسد المبزل ونطير العبرة من الصدور « حتى يربع اللوح كله »

الساعة ١٢ ظهرا : نفتش الزرع ، وتلمس الماء مخافة ان يكون حارا فاذا كان الماء حارا نزيد ماء الصدر « نجبر العبره » هذه العملية تكرر ثلاثين يوما ! »

يسحب أبو ناصر نفسا من سيجارته ، ويعقب : « فلاح الشلب يبقى مرهقا من بداية الحراثة حتى عمليات « زبر المشاتل » ( العزق ) حيث يبحث عن البردي والكمية والمران ولسان الثور وكوك الله ، كأحراش زائدة •• ـ بعد ذلك نحرث الارض التي عزقناها ـ فوق طين الدهله ـ وتقـوم بتعديلها بأيدينا • حتى تتهيأ للشتال •• تشلع من « المبزرة » ، وتشتلها في مكان آخر •••

وبلهجته العامية قـال : « أنا وام ناصـر ويانا الزغـار كلهم ••• تكابل هي تشلع من صفحة وآنا من صفحة ، حتى نسـوي الشتلات كواير ، نغسلها من الطين ، نجففها ، ونزرعها في المشتل الجديد بعد هذه العملية التي تدوم ٦٠ يوما •• تأتي عمية تنظيف النبات من الدنان وغيره ( عملية التخوفر / الخزل ) حيث يبدأ الحصاد ، وخلال هذه العمليات يكون السقي ليل نهـار ، ويتم اغراق كل حوض الشلب ويبقى الماء بشكل دائم وحين يتبدل لون الماء ، لابد للفلاح من استبداله فالشلب لا يعيش دون ماء ( مثل الرقي ) والشلب اذا طلع عن الماء يموت ••

ـ والشلب اذا طلع عن الماء يموت •• يموت •• يمـــوت ••

لقد مات الشلب : قال أبو ناصر •• وهو يفرك بيديه بقلق !

لم تنته قصة أبي ناصر والشلب •• يقول :

« بعد حبس مياه الفرات •• أصبحت قطعة أرضي صحراء ، وزراعتي لا تعطي مردودا ، ماتت بقراتي من العطش والجوع لانعدام العلف الحيواني •• وبعد الضيم والمرارة ، اخذت أطفالي وام ناصر وهاجرنا الى المدينة ، اعمل الآن عند المقاولين بيومية قدرها ٦٥٠ فلسا ! »

* نفتح الخارطة •• ونتأمل الفرات •• فالفرات على أرض الواقـع لا يظهر ! كانت شرايينه تتسع من سوق الشيوخ ، حتى تنمو عرضيا ، تمد لها أوردة ، وتتفرع منها نهيرات ونهيرات ، لكنها تذوب داخل هور الحمار ••• تختلط مع زرقة السماء الأرضية المشوشبة ، •••

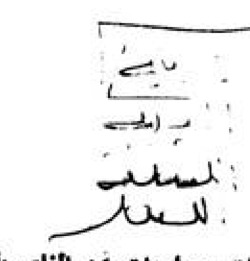
وتأمل الهور •• مستنقع أخضر مدمر ، وبعيد •••
تأمل ما وراء الهور ( تتخيل الصورة ) يخرج الفرات من الهور واهنا •••
لم يعد يحتفظ برجولته ••
لا يعانق دجله ، كما العاشق الولهان ، يصطف مع دجلة •• ولكن بحذر خائف •• وحين يلتقي النهران في القرنة يعلو صوت النواح •••

لقد اغتيل الفرات ••• وقذفوا به من سد الطبقة ميتا ، يتدحرج ، ميتا ، يتدحرج ، ميتا ••• حتى النفس الأخير •



الجسر العائم على النهر الذي كان عظيما

- المثنى -



## ● احصائيات ومعلومات عن الناصرية

- بلغت نسبة الملوحة في حوض الفرات بمحافظة ذي قار ٣٦٠٠ جزء بالمليون وهذا الرقم كبير جدا وهو غير صالح لكافة أنواع استعمالات الماء ٠ انعكس التأثير السلبي لهذه الاملاح على الحالة الصحية للسكان والحيوانات معا مما سبب وفيات عديدة ٠ وماتت بساتين النخيل والمحاصيل الزراعية أيضا ٠

- نصب ٢٣ طاقم ضخ قوة كل طاقم ١١٠ حصانا وزعت معظمها ـ يقول مهندس الري السيد عبدالمجيد رشيد ـ ضمن قضاء سوق الشيوخ مع قسم قليل في قضاء الناصرية لغرض توفير مياه الشرب للقرى والاراضي الزراعية الواقعة في طريقها ٠٠ ولكن دون فائدة ٠

- تم تشغيل نواظم الضبط الجنوبية الواقعة ضمن ناحيتي كرمة بني سعيد وعكيكي للمحافظة على المياه من تسربها الى الاهوار وتشغيلها وفق برنامج زمني قننت بموجبه المياه بصورة دقيقة ، والنتيجة : لا فائدة ٠

- جفت كل الاهـــوار في قرى الخميسية ، النواشي ، المطيرات ، البوحمــــدان ، السورة ، البوخليفة ، الشميس ، البني خيدان ٠٠ الخ ٠ [ مساحة الاهوار ٧٠ ألف دونم ] ٠

